

رؤساء عبر التاريخ

القس

أفام سليمان متي

الفهرست

3	الاهداء
4	المقدمة
	الفصل الأول: المرأة في الديانات والحضارات القديمة.
9	1. المرأة والأسطورة
10	2. المرأة البدائية
13	3. المرأة في وادي الرافدين
19	4. المرأة المصرية
19	5. المرأة الأفريقية
20	6. المرأة الهندوسية
21	7. المرأة البوذية
22	8. المرأة الفارسية
23	9. المرأة الصينية
24	10. المرأة اليونانية
25	11. المرأة الرومانية
26	12. المرأة العربية في الجاهلية
27	13. المرأة اليهودية

	الفصل الثاني: المرأة والمسيحية:
29	1. المرأة ويسوع
34	2. المرأة في رسائل بولس
41	3. المرأة وآباء الكنيسة
	الفصل الثالث: المرأة في الإسلام:
44	المرأة في القرآن
46	المرأة في الحديث
49	أقوال إسلامية في المرأة
	الفصل الرابع: المرأة المعاصرة
52	1. المرأة بين فرويد ونوال السعداوي
52	* فرويد والتحليل النفسي
54	* نوال السعداوي
55	2. المرأة والكنيسة
56	* المرأة والمجمع الفاتيكاني الثاني
59	* المرأة في فكر البابا يوحنا بولس الثاني
66	الخاتمة
70	المصادر

أهدي

هذا

الكتاب

إلى

المرأة-الأم

لأنها تتقبل الكائن الجديد بفرح وألم نابع من خبر فريدة.

المرأة-الزوجة

لأنها تربط مصيرها بمصير رجل بعهد أبدي في علاقة عطاء متبادل
لخير الوحدة والحياة.

المرأة الفتاة والأخت

لأنها تغني البيت والمجتمع من ثروات إحساسها وحسها وسخائها.

المرأة العاملة

لأنها تقرن العقل بالعاطفة من خلال مساهماتها في قطاعات الحياة
كلها.

المرأة المكرسة

لتنسبها بالعدراء مريم وانفتاحها على حب الله. فأصبحت مساعدة
للكنيسة والبشرية في الاتحاد الرائع الذي يرغب الله في إقامته.

وأخيراً المرأة لا لشيء سوى أنها امرأة

المقدمة

لم تعانِ أي طبقة من طبقات المجتمع عبر تاريخ العالم أجمع، ما عانتها المرأة. هذا المخلوق العجيب الذي خلقه الله على هذه الصورة من الكمال والروعة، على صورته ومثاله. لقد أخضعت إحدى معجزات الله لشروط جعلت حياتها قاسية في كل زمان ومكان، كرامتها ناقصة، ميزاتنا مشوهة، هامشية، أمة، وبالتالي مُنعت من أن تكون هي ذاتها بكل معنى الكلمة.

أُعتبرت المرأة منذ فجر الحضارات كائناً ثانوياً مُلاماً دوماً دون الرجل، تُستهلك جميع محاسنها، والتي تُعتبر في نظرهم نادرة كندرة الشمس في المناطق القطبية، أي الجمال، القوة والإنجاب، ثم تُطرح أو تُبدّل بالتي هي أفضل وأحسن للإنتاج. كانت المتهمّة الأولى والوحيدة في جريمة الإغراء لإسقاط الرجل، متناسين دور الرجل في ضبط نفسه، رشقوها بالنبذ كونها "حائض" وهذا بالنسبة للرجل شؤم لا أعظم منه.

ولكن هل فسلفة المرأة من صنع يدها أم خلقة خالق؟ فالخالق أبلغنا دوماً أن خليفته حسنة لا بل وحسنة جداً لما خلق الإنسان. لقد أوجد البعض حلاً وياً ليتهم لم يخرجوه من فكرهم الفاسد، كحرم المرأة من الخروج، طمس الأثوثة الخلابة خلف قطعة قماش، وحرَم المجتمع نفسه من المرأة. كل هذا من أجل ماذا؟ الخوف على الرجل لئلا يسقط في حبال الأنتى.

أُعتبرت المرأة شريرة في أول محاولة للأدب، وهذا ما سنراه من خلال الأساطير التي تتكلم عن علاقة المرأة بتحطيم عالم الرجال

المسالمة. اقترنت المرأة بالشر، ليس لأنها أرادت ذلك، بل لأجل هذا قُدمت للعالم. ولكن الديانات حاولت أن تخفف من هذا الاتهام حين بدأت تجد بعض المنافع في المرأة وخصوصاً الإنجاب. لقد اعتبرت الديانات القديمة الإنجاب -بسبب جهلها بأمور الجنس- مقدساً وإلهياً، ولكن لم يدم هذا طويلاً فسرعان ما عرف الرجل أنه يشارك المرأة في هذا العمل، فاعتبر نفسه السيد والأمر بهذا العمل، منتقماً منها، مهملاً دورها في الشركة، جاعلاً عملها فقط الحمل، التعب، التوجع، الرضاعة والتربية.

ثم بدأت التشريعات والأحكام تصدر تارة للمرأة وطوراً ضدها، حسب الزمان والمكان الذي لم تختره لتكون فيه. ولكن لم نرها إلا نادراً مكرمة معززة، شاعرة بقيمة ذاتها وبدورها الأساسي في الحياة. انتظرت المرأة طويلاً حتى تتخلص من هذا الانحطاط بشخص فادي الإنسان يسوع المسيح. فظهور هذا الشخص في مجتمع لا يحسب المرأة سوى حاجة من حاجات وممتلكات الرجل، جعل مهمته عسيرة وبحاجة إلى ترويي وليس ثورة متهورة. لقد تمكن يسوع من أن يحرر المرأة ويرجع لها إنسانيتها المسلوقة الضائعة، لكن ضمن حدود تحترم مشاعر مجتمعه التاريخية والاجتماعية وحتى السياسية.

لم تنته عملية تحرير المرأة بموت يسوع، بل وهب الشجاعة نفسها بواسطة روحه القدوس إلى رسله، حتى يتمكنوا من الاستمرار برسالته الخلاصية والتي تأخذ قضية المساواة شأناً كبيراً فيها. وهذا ما نراه في تقبلها (المرأة) نعمة الله ونقمة المضطهد على السواء، فكتب

اسمها في سفر الحياة من خلال التبشير والاستشهاد. لكن سرعان ما تغيرت الأحوال مرة أخرى وفُسرّ كلام محرر المرأة بحسب عقلية كل مفسر. فأعادوا المرأة حيث كانت، ولكن بفرق واحد وهو أن خلاصها يكمن في بتوليبتها.

ومرة أخيرة في الألفية الميلادية الأولى ستتحرر المرأة من بعض القيود وفي بقعة معينة من هذه الأرض الشاسعة. وكان هذا بمجيء نبي الإسلام محمد بن عبد الله والذي أعطى المرأة كرامة بحسب مفهوم بدوي، معتبراً إياها مخلوقاً يجب التعاطف معه لأنه بلا حول ولا قوة.

وسرعان ما انتهى عصر المرأة الذهبي المتمثل بعصر صدر الإسلام، وانهارت الأحوال والمصائب على المرأة لمدة تجاوزت العشرة قرون وفي جميع الديانات، والتي لا زال البعض ينظر إلى المرأة نظرة دونية متأثراً بما قاله البعض قبل مئات السنين.

وبعد أن كانت العصور الوسطى وخصوصاً في أوروبا بمثابة رعب للمرأة، حيث أُتهمت بالسحر والشعوذة، فقُتلت آلاف النساء لمجرد أنهن نساء لا أكثر، وأُستعملت معهنّ أساليب وحشية فاقت وحشية البدائيين من أبرّ طويلة أو إغراق أو حرق. جاء التحليل النفسي في بداية القرن العشرين ليُعيد المشهد ولكن بأساليب أطف، مستعملاً العلاج النفسي أو الكرسي الكهربائي معتبراً إياها مخلوقاً عُصائباً من طبيعته، لأنها تشعر بالنقص بسبب الفروق الجنسية أو لسذاجتها أو للحسد المكنون في قلبها ضد الرجال وحضارتهم.

ولكن بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وقُتل الملايين من الرجال وحلّ الفقر على الكثيرين. حثّمت الأوضاع على المرأة أن تغادر قبرها الأول (البيت) وتنزل إلى الساحة جنباً إلى جنب مع الرجل، محاولة منها لوضع حد للأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي حلت في معظم أقطار العالم. وقامت عدة حركات ومؤتمرات تنادي بحقوق المرأة ودورها المساوي للرجل، وكل هذا تحت شعار "مهما كانت الظروف تبقى المرأة هي الشريك الأول والأخير للرجل، وكلاهما يمثلان صورة الله ومثاله".

وشهد عالمنا العربي محاولات عديدة لتحرير المرأة من قيودها وأغلالها التي لن نتكلم عنها في العصور الوسطى، لأنها أصلاً لم يكن يُحسب لها حساباً، ولأسباب سياسية أيضاً طيلة الفترة هذه كانت تحت الاستعمار الأوروبي.

مع هذا التطور الحاصل في العالم أخذت الكنيسة تعي أكثر فأكثر بأن رسالتها تُلزمها بإعادة الاتصال والحوار. ولا ننسى الدفعة التي أعطتها المجمع الفاتيكاني الثاني للمرأة لكي تتحرر من القيود التي فرضها عليها المجتمع أو الكنيسة في ما مضى، وأعاد إليها الكرامة المهذورة. ولقد حذا البابا الراحل يوحنا بولس الثاني حذو المجمع، لا بل أكثر لكي يبين مدى أهمية المرأة سواءً في المجتمع أو الكنيسة. وكل هذا لتفهم المرأة دورها الحقيقي الذي لا يلحق أي مهانة لكرامتها التي أعطتها إياها الكنيسة بواسطة المجمع أو بشخص البابا.

الفصل الأول
المرأة في الحضارات والديانات القديمة

المرأة والأسطورة:-

للمرأة دور كبير في نشوء الأساطير، ولكن الدور الذي أُعطي لها كان على الأغلب شريراً. ولن نذكر هنا أساطير العالم، ولكن سنكتفي بأسطورة يونانية تروي أصل الشر. وهناك أكثر من قصة لأنثى تدعى باندورا، تصور لنا هذه الأسطورة كيف أن المرأة هي رمز للغواية والانتقام وجلب اللعنة.

في أولى هذه السيناريوهات تُعتبر باندورا أول كائن أنثى مارست الغواية لاستدراج شقيق زوجها. وبهذا تكون باندورا أول كائن أنثى حل بعالمنا من أجل تنفيذ مؤامرة انتقامية فجرها امتلاك البشر للنار المقدسة، فحلت لعنة زيوس على البشر بشكل أنثى¹.

والسيناريو الثاني يقول بأن باندورا كانت السبب في توزيع الشرور حينما سقطت الجرة الإلهية من يدها، وأخذ الناس ما شاءوا، منهم الشر ومنهم الخير.

والسيناريو الثالث يخبرنا أن المرأة هي سبب أوجاع وآلام العالم كله، وذلك لأن الناس في اعتقادهم كانوا يعيشون في أفراح ولا يعرفون معنى الألم ولا الحزن، ولكن حدث أن الآلهة أودعت أحد الناس صندوقاً وأمرته ألا يفتحه، وكان له زوجة تُسمى باندورا مازالت تغريه بفتحه حتى فتحه فانطلقت منه الحشرات. ومنذ تلك اللحظة أُصيب

¹ إدريس هاني، تأنيث الأنثى، مجلة الوعي المعاصر، عدد 12 (2003)، بيروت، ص 100.

الناس بالآلام والأحزان. فلهذا كانت المرأة سبباً في الكوارث التي حلت بالبشرية كلها نتيجة لفضول المرأة وإغراء زوجها بالعصيان².

إذاً بحسب هذه الأسطورة لم يكن الإنسان عرف الشر لولا مجيء الأنثى بأجندة تدميرية حاملة كل أنواع الشرور.

إن هذا ليس ببعيد عن تفكير بعض الناس اليوم ونحن في القرن الحادي والعشرون حيث يقولون: لولا حواء (والمقصود بهذا الاسم هي المرأة أياً كانت) لكنا الآن في الفردوس.

المرأة البدائية:-

لقد اعتمد الإنسان البدائي في طعامه على الجذور والثمار البرية والديدان. ولم يكن يختلف نظام العائلة عندهم عن الحيوانات، فكانت العائلة تتكون من الأم والأطفال الذين تحميهم إلى أن يتمكنوا من تدبير حياتهم بمفردهم. فيمكننا القول إنها كانت عائلة الأم فقط دون الأب، فالعلاقة الجنسية لم تكن أكثر من إشباع الشهوة. وكان الاعتقاد أن الأم وحدها هي التي تتجب الأولاد، لاعتقادهم بأن المرأة تحبل نتيجة روح أو طيف يزورها وهي نائمة، فيلقي في رأسها بذرة الطفل الذي ينحدر إلى رحمها ويستقر وينمو حتى يولد³. ولهذا السبب اعتبروها أكثر قدرة وأعلى قيمة من الرجل.

وبهذا نعرف أن البشرية هي أنثوية الأصل، ولم يتغير هذا الارتكاز إلا قبل مائة ألف سنة وذلك بتغير المجتمع وتعرّفه على

² علاء أبو بكر، حقوق المرأة قبل الإسلام، (من الأنترنت).

³ سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة العربية- القاهرة، 1956، ص13-14.

الصيد، حيث بدأت العائلة أو القوم يحتاج إلى قوة الرجل وليس لامرأة معرضة للخطر، وغالبا ما تكون حاملاً ولديها صغار يتبعونها. وأيضاً بدأت المرأة تستجيب لحاجات الرجل الجنسية كي يعطيها قليلا من الصيد الذي يأتي به وأصبحت كلها خاضعة له لتكفل لها ولأطفالها الطعام⁴. ولكن مع هذا كانت المرأة هي التي تقرر من سيكون الأب لأن الأم معروفة أما الأب فكان ينصاع لأنه بحاجة إلى زيادة عدد أتباعه للقيام بالصيد⁵.

لكن الوضع تغير بعد تدجين الحيوانات والامتلاك، واكتشاف دور الأب في الإنجاب من خلال مراقبة الحيوانات، فسيطر الرجل على الحالة الاجتماعية وأصبح هو السيد لتتسحب المرأة ثانية إلى البيت حيث تلد وتربي أو تعمل في الحقول⁶. فحاول الرجل أن يضم المرأة والأولاد إلى ممتلكاته، وتُشبع غرائزه الجنسية فقط. حتى نراه يغار من الأطفال لأنهم يشغلون المرأة عنه. فتضطر المرأة لفظم الطفل أو يقدم

⁴ المصدر السابق، ص14-15.

⁵ للعالم ليستر وورد رأي في هذا الموضوع حيث يقول بأن المرأة هي التي كانت تخرج للصيد، وتحلب الطعام لصغارها بسبب قولها أولاً ومن ثم قوة غريزة الأمومة لديها والتي لم تكن قد نبغت عند الرجل بعد شيء معناه الأبوة. وهو يقارن هذا بما نراه عند الحيوانات حيث الأم هي المستعدة دوماً للدفاع عن صغارها. راجع: نوال السعداوي، دراسات عن الرجل والمرأة في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990 ط2، ص 176-183.

⁶ سلامة موسى، المرأة ليس لعبة الرجل، الشركة العربية، القاهرة، 1956، ص19.

الأب على قتل الأطفال، أو يستعمل الذكور منهم كعبيد والإناث لإشباع غرائزه الجنسية⁷.

ولقد كان للسحر والتعويدة أثر كبير على فكر الإنسان البدائي ولقد ربط السحر الدم بالقتل. فلم يكن أرهب على الرجل من أن يرى الدم في غير موضعه (والذي كان قتل الحيوان قبل أن يُقتل). ولما كانت تأتي على المرأة العادة الشهرية وتتزف دماً أصبحت نجسة بالنسبة لهم، لا بل عليهم أن يتجنبوا رؤيتها حتى قبل أيام من الصيد لئلا يجلب ذلك عليهم الشؤم. ولهذا السبب كانت المرأة تحجب نفسها عن الرجل لئلا يتشائم. وتطورت الحالة لتتجنب حتى وإن لم يكن عليها دم⁸. ولقد تطور هذا المفهوم أكثر ليشمل الأرملة التي كانت تعتبر السبب في موت زوجها، وأنها ستنتقل العدوى إلى الآخرين. لذا عليها أن تحتجب في البيت⁹.

المرأة في وادي الرافدين:-

لم يكن للمرأة في وادي الرافدين قاعدة ثابتة نتيجة للتغيرات السياسية وبالتالي القانونية التي كانت تتحكم بمكانة المرأة في المجتمع.

⁷ نوال السعداوي، دراسات عن الرجل والمرأة في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

1990 ط2، ص 178-183.

⁸ إبدأ الحجاب أول ما ظهر نشأ من دم الحيض والولادة. المصدر السابق: سلامة موسى، المرأة ليس لعبة الرجل، الشركة العربية، القاهرة، 1956، ص13.

⁹ ومن هنا نشأ الحجاب أو الانفصال بين الجنسين ونشأت فكرة النجاسة من الاتصال الجنسي. المصدر السابق، ص13.

فدينياً لحضارتنا عدد وافر من الآلهة الإناث، وهذا دليل على كون الأنثى رفيعة المستوى. وكذلك وجود وظيفة الكهانة للنساء كأنخيدوانا ابنة سرجون التي كانت عظيمة الكاهنات.

بالرغم من جميع التحولات في تقييم كرامة المرأة في مجتمع وادي الرافدين على مر ألفي سنة إلا أنه بقي حساساً تجاه أخلاقها وتصرفاتها. فالشواهد كثيرة على تدمير الرجل منها سواءً كانت زوجته أو ابنته أو امرأته وحتى أمه، حيث يطلب منها تصرفات جيدة وعدم التبذير، وبالأخص القناعة. وسنوجز هذا الوضع في أهم الحضارات التي حكمت هذه البلاد:

السومريون:

لقد أعطى السومريون المرأة بعض الحقوق بالرغم من كون المجتمع أبوياً. حيث كان لها الحق المطلق والقدرة الكاملة لتقوم بالأعمال التجارية والبيع والشراء والتبني وامتلاك العبيد والإماء وإعتاقهم وامتلاك الأراضي والماشية والنقود والتصرف بها على هواها. كما كان بإمكانها رفع دعوى والشهادة في المحاكم والامتناع من الذهاب إلى بيت زوجها وحتى رفض العريس المتقدم لخطبتها. ولم يعتبروا زواج الإماء شرعياً فالزوجة الحرة هي الوحيدة الشرعية، وهي المسؤولة عن الأولاد القاصرين بعد موت زوجها. كما أنهم لم يفرقوا بين الصبي والفتاة حين يولدون وحتى شرائعهم تستعمل كلمة (Dumu) أي الطفل¹⁰.

¹⁰ ثلماسيتيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون-الجمهورية

العراقية، 1978، ص25.

غالباً ما كن الصبايا يقضين النهار في اللعب والمرح،
متمتعات بمحبة الوالدين حالهن حال الصبيان. كما إنهن لا يترددن من
مساعدة الأم إذا ما استطاعوا ذلك. وكان مصير أكثرهن الزواج وتربية
الأطفال أو يقمن بأعمال مثل الكتابة وبيع الخمر وتزيين الشعر
وطحن الحبوب وغزل ونسج الصوف. ومن النسوة الشهيرات بارا إرنون
(2550-2650) الأميرة التي بنت مزاراً للإله شارا، الملكة كوبابا
(2420) التي كانت بائعة خمر استطاعت أن تعزز كيان كيش
السياسي والاقتصادي وأصبحت ملكة مدة مائة عام¹¹.
الأكديون:

وفي العصر الأكدي برزت مهنة الكهانة فنرى عدة نساء
مشهورات منهن: أنخيدوانا (2371ق.م-2316) ابنة سرجون الأكدي
(2371-2316ق.م) والتي هي أول كاهنة عليا للإله سين في أور.
كما أنها كانت أول شاعرة واشتهرت كثيراً بالأدب ، وإنمن-إنا ابنة
الملك نرام-سين (2261) خليفة أنخيدوانا والتي خدمت من سنة
2285ق.م حتى 2249ق.م¹².

البابليون الأولون:

لكن أحوال المرأة بدأت تتدهور في العصر البابلي القديم، فلم
يكن لها أي سيادة حتى على نفسها. فالسيادة تنتقل من أبيها أو أخيها

¹¹ المصدر السابق، ص 29-36.

¹² المصدر السابق، ص 33.

إلى زوجها، وكان الرجل هو السيد المطلق في الزواج وله الحق في الطلاق. حتى مجيء كمورابي الذي حفظت شريعته بعض الحقوق للمرأة منها إمكانها القيام ببعض الأعمال التجارية وعقد الاتفاقيات القانونية من بيع وشراء وتبني وإعارة وتأجير دون وصاية أحد عليها. كما أننا نراها لا زالت تظهر كشاهدة في المحاكم وحق تربية الأطفال بعد موت الزوج¹³.

ولقد خصت قوانين حمورابي المرأة بمنزلة رفيعة وذلك بالحد من حالات الزنى ومعاقبة كلا الطرفين وليس المرأة فقط. ولضمان عيشتهم استمرت مهنة الكهانة أكثر عند البابليين القدماء. أما العامة فبالإضافة إلى المهر الذي يبقى السند لهن في حياتهن والميراث الذي يتركه الزوج بعد موته، كان بإمكانهن العمل بمهن كالكتابة والرعاية¹⁴.

ولقد اشتهرت في هذه الحقبة نساء عديدات ولكن تبقى الأروع فيهن شيبتو زوجة الملك زمريم (1780-1760) ملك دولة ماري التي اشتهرت بأفكارها العسكرية، إشرافها على تجارة الخمر، رومانسيتها الواضحة من رسائلها التي كانت توجهها إلى زوجها حين يكون بعيداً، واهتمامها بالرعية. فيمكننا القول أنها كانت ذات خصال حميدة فهي مثال الزوجة المخلصة والمرأة الشجاعة¹⁵.

¹³ المصدر السابق، ص36-39.

¹⁴ سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، منشورات جامعة الموصل-العراق، 1985.

¹⁵ ثلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون-الجمهورية العراقية،

1978، ص243-246.

الأشوريون:

لقد بدأت المرأة تعود إلى سومريتها عند الآشوريين. فاشتهرت البنت الآشورية بالغنج والدلال لسحر جمالها. فللمرأة الآشورية في العصر القديم (2000ق.م - 1521ق.م) الحق في العمل، فبالإضافة إلى وظيفة الكتابة وعقد الصفقات التجارية كان لها حق امتلاك الأختام الخاصة بها¹⁶. كما اعتبرت الكهانة أعظم وظيفة للنساء: فعروس الرب هي عزيمة الكاهنات ثم الكاهنات زوجات الرب الثانويات وبغايا المعبد وكن يعملن مربيات لسيدات آشور.

لكن سرعان ما تدهورت الأمور في العصر الوسيط (1521ق.م - 911ق.م)، حيث أصبح للآشوريين عادات أحطت من كرامة المرأة. فنرى أنه عندما تبلغ الفتاة سن الزواج والتي لم تكن محددة بل متى ما تبدأ ظواهر النضوج الجسمية عليها، يبدأ الدلال بعرضهن للشباب الراغبين بالزواج ويبدأ المزاد على واحدة واحدة منهن. ومن ثم فكروا بطريقة أخرى لا تهين المرأة وأيضاً كي لا تذهب للغرباء، وإن كانت أسوأ من الأولى. كن يجلسن في ساحات الهيكل ثم يأتي الغريب ليلقي عليهن المال فيتقدس المال، لذا لا يمكنهن الرفض. وبعد أن يختلن بالغرباء يمكنهن العودة إلى منازلهن. وأما الطلاق فكان سهلاً على الرجل أن يطلق زوجته حتى دون سبب. أما هي فكان بإمكانها العودة إلى منزلها فقط إذا ما أساء معاملتها. كما أنه لم يكن بإمكانها أخذ أي شيء من البيت دون علم زوجها وإلا اتهمت بالسرقة.

¹⁶ المصدر السابق، ص39-40.

كما انهما لم يعد يحق لها امتلاك أي شيء ما عدا العبيد وخاصة إذا أهداهم لها والداها¹⁷.

وفي العصر الآشوري الحديث (911ق.م - 612ق.م). عاد حق المرأة في الشهادة ورفع الدعوى وامتلاك الأرض. ومن الشهيرات سميراميس الملكة الآشورية التي لا تزال أكثر شهرة في تاريخ العراق القديم، كانت وصية على ابنها الصغير أدد-نراري (811-783) خمس سنوات (811-806) ومن ثم حكمت اثنتين وأربعين سنة واختفت حين سلمت الحكم لابنها الثائر عليها. كما نرى من مَن القليلات التي صورت في المسلات وهي آشور-شرت زوجة آشور بانيبال¹⁸.

الكلدانيون:

تعتبر المرأة الكلدانية (626ق.م-539ق.م) آخر امرأة تحت حكم وطني. وللأسف فقد نزلت المرأة إلى درجة أنه كان يحق لزوجها أن يبيعها أو يعطيها بدلاً عن دينه. وكان يحق للزوج الذي لم يكن يدفع مهراً قانونياً أن يتخلص من امرأته متى لم يعد يريد لها أو ذبل جمالها، لأنه بدون المهر لا يعتبر زواجاً وإنما مساكنة بسيطة. وكانت معاناتها تزداد بعد الزواج حيث تبدأ عملها من الفجر وحتى طول المساء من جلب الماء وطحن الحبوب والعجن والخبز والغزل وترتيب البيت، ما عدا الحمل والإرضاع الذي كان يستمر ثلاث سنوات. وأما بالنسبة للخروج إلى المدينة كلما كانت المرأة غنية كانت حرية الخروج

¹⁷ المصدر السابق، ص41.

¹⁸ المصدر السابق، ص252-255.

عندها تتقيد. فللعامة كانت حرية الخروج مطلقة دون رقيب ومتى ما شاءوا إلا أن المرأة الغنية كان يرافقها في خروجها النادر الوصيفات والخصيان والحجاب¹⁹.

هكذا عاشت المرأة الكلدانية تحت مهانة وسلطة الرجل فلا خلاص لها إلا بالموت أو الطلاق الذي هو أشد عذاباً من الموت لأن للزوج الحق في طلاق امرأته متى ما شاء بقوله لها: أنت لست زوجتي. في حين لو قالتها المرأة لعوقبت بالغرق أو بصرفها من البيت نصف عارية فريسة لمن يلقفها. ومن النسوة اللواتي اشتهرن في هذه الفترة وخصوصاً المتعبدات، نجد والدة نبونهد (555-539) أدد-كوبي (648ق.م-546ق.م) التي اشتهرت بالصلاة الدائمة وتقديم النذور وخدمة الإله سن في حران. ولقد بنى لها ابنها تمثالان إكراماً لها في هذا المعبد²⁰.

المرأة المصرية:-

يُعتبر الفراعنة أول من رفعوا المرأة إلى مقاعد الحكم، وارتضى رجالهم أن تحكمهم النساء. والسبب يعود كون المجتمع الفرعوني مجتمعاً متحضراً، وهذا التحضر هو السبب في احترامهم للمرأة والاعتراف بحقوقها الكاملة. لا بل كان هناك المساواة الحقيقية بكل معنى الكلمة وفترات تكون أقوى وأسمى. فكان لها حق اختيار زوجها

¹⁹ سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، منشورات جامعة الموصل-العراق، 1985، ص119-122.

²⁰ ثلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون-الجمهورية العراقية،

أو تطليقه وهي متساوية مع الرجل في الميراث وقد تسمى أولادها باسمها. وإن ما أدى إلى المبالغة في تقديس المرأة هو الإنجاب، ففي بلد يحتاج إلى أيدي عاملة كما أنه لم يكن هناك نظرة النصف عالية على النصف الآخر بل كانت تعمل وتنتج كالرجل تماماً.

ولقد وصل تقديس المرأة عند المصريين إلى رفعها إلى مصاف الآلهة، وأبرزهن إيزيس التي تعتبر مصدر نهر النيل الذي تكون من دموعها على زوجها الذي غدر به أخوه.

المرأة الأفريقية²¹: -

لا تختلف المرأة في أفريقيا كثيراً عن الحضارات الأخرى، فهي لازالت كعبدة وملك للرجل ولها ثمن طاعتها وخضوعها يدفع إلى أهلها. ولكن الحال يتغير بعد أن تتجب الأطفال فتزداد قيمتها بزيادة عدد الأطفال الذين تتجبههم. فهي لا تمتلك المساواة والعضوية في جماعة زوجها ويمكن أن تنتقل بعد موت الزوج إلى أخوه الأصغر. ولكن مع هذا كله يبقى الرابط القوي للمرأة مع أهلها ولا ينقطع. لذلك هناك من يساندها في خلافها مع زوجها وقبيلته، ولهذا يكون الطلاق يسيراً ومتوفراً في هذه المجتمعات وخاصة إذا ما كان الزوجان لا يعملان في نفس المهنة²² فمثلاً في منطقة الابو يعملان كليهما في الزراعة لذا

²¹ نقصد هنا بالمرأة عند القبائل التي تعيش في جنوب وغرب أفريقيا.

²² كان اختلاف الدخل يدفع بأحد الزوجين إلى الاستعلاء والاستكبار على الآخر.

الطلاق عنده اقل منه بين أبناء شعب أوروبا حيث للمرأة دخل خاص من عملها بالحرف والتجارة.²³

المرأة الهندوسية:-

يروى عن المرأة الهندية أنها لم تعرف الاستقلال أو الحرية لا في بيت أهلها ولا في منزل زوجها. فعقيدة (مانو) ترى أنه لا يجب على المرأة الهندية أن تبحث عن الاستقلال أبداً، ولا عن الحرية، بل عليها أن تعود إلى زوجها في كل شاردة أو واردة من حياتها الاجتماعية أو الاقتصادية. فهذه الشريعة لم تكن تعرف للمرأة حقاً مستقلاً عن حق أبيها أو زوجها أو ولدها.²⁴

ذكرنا هذا لأنه ناتج عن سبب ألا وهو ربط الهندوس هذا المخلوق القاصر بنظرهم بالشر، فيقولون: ليس الصبر المقدر، الريح، الموت، الجحيم، سم الأفاعي والنار أسوأ من المرأة.

وإذا نظرنا إلى العقائد الدينية التي كانت معروفة بين الهند مثل عقيدة (ساتي) التي ترى أنه ينبغي على كل زوجة يموت زوجها أن يحرق جسدها إلى جوار جسد زوجها، وعلى موقد واحد، ما لم يتواجد قريب له تكون في رعايته وتحت كنفه.²⁵

²³ ب. س. لويد، أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي (سلسلة عالم المعرفة، العدد)، شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، 1980، ص 181-193.

²⁴ عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان 1966 ص 231.

²⁵ غير أن بعض النساء الهنديات كن يعزفن عن تطبيق هذه العقيدة مما يجعلهن في موضع إهانة وتحقير من قبل أتباع هذه العقيدة. وهذه العادة القديمة ظلت سارية المفعول من عهد الحضارة البرهمنية

المرأة البوذية:-

إن البوذية نشأت بفعل شخصٍ معيّن في إطار الرفض الصارخ للممارسات الهندوسية، وبتعبير آخر جاءت كحركة إصلاح اجتماعي يعتمد على الفئات الاجتماعية الأقل شأنًا.

فعلى صعيد التعاطي مع المرأة في المجتمع البوذي، فإنّه تعاطى معها بسلبية، ومن منطلق دوني، وكان بوذا نفسه قد دعا إلى الرهبانية واعتزال المجتمع والعيش في الغابات، كما أنّه دعا أتباعه إلى ممارسة هذه الطقوس، وهذا ما أثر سلباً على طبيعة العلاقة بين الرّجل والمرأة، كما أوحى بأن يكون الرّجل على حذرٍ في تعاطيه معها²⁶.

المرأة الفارسية:-

في بلاد الفرس وهم الذين قبضوا على ناصية الحكم في كثير من البلاد وسنوا القوانين والأنظمة، لم يكن وضع المرأة عندهم أحسن. فقوانين زرادشت، كانت جائرة وظالمة بحق المرأة، فإنها كانت تعاقبها أشد العقوبة إذا صدر عنها أقل خطأ، أو هفوة بعكس الرجل فإنها قد أطلقت له جميع الصلاحيات يسرح، ويمرح، وليس من رقيب عليه. فهو له مطلق الحرية لأنه رجل ولكن الحساب والعقاب لا يكون إلا على المرأة. كما كان أتباع زرادشت يميّتون النساء، وحالما كانت تتجمع لدى الرجل براهين على عدم إخلاص الزوجة، كان لا مفر لها من الانتحار.

وحتى القرن السابع عشر، حيث أبطلت على كره من رجال الدين وزعماء الهند. (المصدر السابق)، ص231).

²⁶ إنجيل بوذا، ترجمة عيسى سابا، مكتبة صادر-بيروت، 1953، ص107،220.

وفي عهد الساسانيين خفف هذا القانون، بحيث صارت المرأة تُسجن جزاء عدم إخلاصها أول مرة، حتى إذا كررت عملها صار لا مفر لها من الانتحار.²⁷

أما ما يخص الزواج، فكان يحق للرجل من أتباع زرادشت أن يتزوج من امرأة غير زرادشتية، بينما لم يكن يحق للمرأة أن تتزوج من رجل غير زرادشتي. كما أُبيح عند الفرس الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. وكانت تُنفي الأنثى في فترة الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام. فإذا كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو ينعم عليها بالحياة.²⁸

المرأة الصينية:-

لم تكن المرأة في البلاد الصينية أحسن حالاً من أختها في بلاد الفرس، فشبّهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال. فالمجتمع الصيني على العموم كان فوضوي. ولم توضع لهم قوانين حتى قام رجل منهم وكان من الحكماء الأقياء اسمه (فوه . سي) وذلك سنة (2736 . 2852) ق.م. فوضع لهم القوانين، وسنّ لهم الأنظمة، ولكن المرأة لم تتل من السلطة أو الكرامة أي نصيب، بل كان نصيبها أن تتلقى الأوامر، وتنفذها بدون أي اعتراض. فإذا كانت لا تزال بنتاً لم

²⁷ مرعي فضل الله، واقع المرأة في أمم غابرة، (من الإنترنت).

²⁸ خير الله طلفاح، تاريخ اللوسية ومذاهبها، مطبعة الشرق الأوسط - بغداد، 1983، ص 49-50، 69-73.

تتزوج، فواجب عليها إطاعة أبيها، فإذا تزوجت فالطاعة لزوجها، وإذا مات عنها زوجها أطاعت ابنها الكبير²⁹.

وفي الزواج كانوا يتعاقدون والعمران صغار مقابل مبلغ يُدفع لوالد الفتاة، وحين تبلغ الثانية عشر تُزوج وتُقل إلى بيت الزوج بواسطة هودج مقفل. وتستعد للضرب والإهانة لأتفه الأسباب، وخصوصاً لأن الزوج قد لم يكن رأها من قبل فيبدأ بصب جام غضبه عليها. كما انه ليس لها نصيب من الميراث لأن البنات لا يرثن، وحصّة الابن الأكبر من الميراث تكون هي الكبرى، وليس للبنات أن تطلب من مال أبيها شيئاً لأن البنات لا ترث لأنها ليست بولد. أما عملها فلا يتعدى الطبخ والحياكة ونقل المياه والخبز³⁰.

المرأة اليونانية:-

لقد عُرفت اليونان ببلاد الفلاسفة، ولكن الفلاسفة هم الفئة الأولى التي أهدرت كرامة المرأة، فيقول سقراط نقلاً عن الأنترنت من مقال لمريم فضل الله "واقع المرأة في أمم غابرة": "إنَّ وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيال في العالم، إنَّ المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً". ولذا فقد كانت المرأة عندهم حقيرة مهينة، حتى إنَّهم

²⁹ مريم فضل الله، واقع المرأة في أمم غابرة (من الإنترنت).

³⁰ عبد الحميد حمروش وراحي عناويت، الصين الصديقة، دار التحرير مصر، 1958.

ليعدونها رجساً من عمل الشيطان، وكانت عندهم كالحاجة، فتباع وتشتري في الأسواق"³¹.

لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة لإسبارطة فقد كان للفتيات الحرية في الاختلاط بالشبان، وكن يُنظَّم على شكل مجموعات شبه عسكرية يمارسن التدريبات في الرياضة والرقص والموسيقى. ولكن كل هذا ينتهي عند الزواج فيفرض عليهن الاحتجاب والحياة في البيت وبذلك حصلت الفتاة الإسبارطية على مستوى عالي من اللياقة البدنية والرشاقة، حيث اشتهرت في بلاد اليونان بالصحة والجمال والمشاعر الوطنية³².

ولم يتغير شيء بالنسبة للإغريق لما سيطروا على العالم، لأنهم وجدوا أنفسهم في مستوى أرقى من الآخرين. فاحتقروا المرأة وجردوها من كل كرامة، فلا حق تملكه لأن المملوك لا يملك. كما أنهم اعتبروا المرأة نذير شؤم، لذا يجب كسر أرجلها لتبقى عاجزة، وحتى إنهم اعتادوا على حرق الزوجات وهذا نتيجة تأثرهم بالشعوب التي احتلوها. فالإيوناني اعتبر المرأة خادمة مكانها في المطبخ³³.

³¹ قد لا يتوافق هذا مع ما يقوله في مكان آخر: "المرأة أحلى هدية قدمها الله للإنسان". إنضاف نعيم، رحلة في أعماق حواء، دار الثقافة-القاهرة، 1992، ص14.

³² عماد نجم عبو وعبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب-موصل، 1993، ص50-51.

³³ أنور زكي، المرأة في الكنيسة المصرية، دار الثقافة- القاهرة، 1995، ص21.

المرأة الرومانية:-

أقدم شكل من أشكال الزواج الروماني يوحي بأن المرأة كانت تصبح تابع مع كل ما تملك لزوجها، وعليها أن تنبذ صلتها بأسرتها كي تصبح عضواً في أسرة زوجها. ومع أنها كانت تهتم بالبيت ولكنها أيضاً كانت تتجول في المدينة وتحضر الاحتفالات العامة ولكن يجب أن تكون برعاية زوجها وعند ترمها تصبح برعاية رجل من الأسرة، لأن أمومتها غير معترف بها من لدن القانون وليس لها أي سلطة على الأبناء لأنهم يتبعون الأب. وكانت الجريمة الكبرى للمرأة هي الزنا، شرب المسكرات وتصل العقوبة أحياناً حد الموت³⁴.

لكن القوانين تبدلت تدريجياً لصالح المرأة حيث مُنِع بيع الزوجة أو قتلها بعد أن كان شيئاً اعتيادياً عند الرومان. فحظيت المرأة باحترام واستقلال وحرية أكبر من الماضي، ولكن بحدود سنة 100 قبل الميلاد بدأت الأخلاق تتهار في العهد الإمبراطوري فكثرت الفواحش نتيجة التحرر الجنسي. فاشترع أغسطس قيصر سنة 17 ق.م برنامجاً اجتماعياً غرضه الحد من تدهور الأخلاق الرومانية فحُرِّم الزنا والعزوبية والزيجات التي لا تخلف أولاداً وإن لم يرضى بهذا إلا شرائح معينة من المجتمع الروماني، فإنه فتح الباب أمام زواج هدفه اتحاد مدى الحياة بين رجل واحد وامرأة واحدة طوعاً واختياراً من إنجاب

³⁴ عادل نجم عبو وعبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب- موصل، 1993،

الأطفال ويقوم على أساس المحبة المتبادلة والذي استمر حتى نهاية العصر الإمبراطوري حيث ساندتها المسيحية³⁵.

المرأة العربية الجاهلية:-

لقد كان عرب الجاهلية يقومون بقتل بناتهم، حتى قيل "دفن البنات من المكرمات"³⁶. كما ويُقال أن هذا يرجع إلى أيام النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي أغار على بني تميم وسبى نساءها وعند المصالحة أمر المنذر بأن تختار المرأة ما بين البقاء أو الذهاب إلى زوجها وكانت هناك بنت لقيس بن عامر فضلت السبي. فنذر قيس بأن يدس كل بنت تولد له في التراب وهذا ما فعله بالعشرات من البنات. فالوآد صار وكأنه حفاظ على شرف الرجل نتيجة غزو أو خسارة حرب.

ولما ذكرنا فكرة نشوء الحجاب، لاحظنا كيف عَدَّ الأمور حتى زال مع اكتشاف الزراعة. ولكن عند العرب عكس هذا قوي لأنهم ظلوا على الصيد، واشتد لما اكتشفوا الغزو وهو أشد هولاً لأن الرجل معرض للقتل أكثر منه في الصيد³⁷.

³⁵ المصدر السابق، ص324-325.

³⁶ عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحرية، دار الهلال- مصر، 1952، ص32.

³⁷ سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة العربية، القاهرة 1956، ص14-18.

المرأة اليهودية: -

"البطالة تقود إلى الفساد"، قول مشهور لدى الحاخاميين³⁸.
فالمرأة يجب أن تعمل كي لا تصبح مثل أمها حواء، التي لأنها لما لم يكن لها ما تعمله بدأت تبحث عن الشر حتى تحالفت معه وأوقعت آدم المسكين في مشكلة مع الله.

يا له من تفكير ساذج، فهل العمل يُنسي المرء طبيعته؟ أم العمل يجعل الإنسان صالحاً؟ لو كان الأمر صحيحاً لكان المنفيون في سيبيريا أتقى الناس، واليهود الذين أسرهم هتلر فاقوا هابيل صلاحاً. إن الإنسان الشرير لا يثنيه عن عزمه شيء إلا اللهم جمر ملتهب على رأسه.

لم يكن حال المرأة اليهودية أفضل، فالمرأة هي أدنى من الرجل حتى في الصلاة، فلا يحق لها التعلم العلني ولا الصلاة مع الرجال. حتى أنها تشكر في صلاتها الرب لأنه خلقها كما شاء، أما الرجل فيشكره لأنه لم يخلقه امرأة. وفي العشاء الفصحي كان يقتصر دورها في البيت مع الأولاد القاصرين الذين لا يحق لهم الذهاب إلى الهيكل. اليهود برروا هذا الموقف بقولهم: المرأة هي الهيكل في البيت، فكما أن الهيكل هو قلب أورشليم، فالمرأة هي قلب العائلة النابض التي يجتمع حولها أولادها الصغار ليشكروا الله.

³⁸ أحمد الشلبي، اليهودية، مطبعة المعرفة - مصر، 1974، ص306.

لكن هذا لم يستمر مع انفتاح اليهود على الحضارات الأخرى وخصوصاً المصرية. فنشيد الأناشيد فنّد ما يُشاع عن كون المرأة اليهودية مجرد أداة للتنازل حيث يصور موقف حب يثبت أن النظرة يجب أن تكون متساوية لكلا الجنسين. ويبدو المرأة هي المبادرة دوماً، وتوقظ الرجل كما أيقظته عند الخلق، حين كانت معينة وليست أداة للإغواء، وأما قمة النشيد فيكمن في جملة "حبيبي لي وأنا له" (16:2).

الفصل الثاني المرأة والمسيحية

1. المرأة ويسوع:-

لقد كان ليسوع موقف يثير الدهشة تجاه المرأة، فلقد انتسب المسيح منذ مجيئه إلى امرأة، فمن دون المرأة لما كان تجسد ولا كانت

الكنيسة³⁹. ودورها في التجسد هذا أعاد قصة الخلق إلى طبيعتها، أي أن كرامة المرأة تساوي كرامة الرجل ما دام قد خلقا على صورة الله⁴⁰. فحاول قلب التقاليد السائدة والاستهزاء بالمحرمات الاجتماعية. فالتلاميذ كانوا يندهشون حين يروه يكلم امرأة غريبة على الطريق (يو 4:1-42)، شكك الرجال من موقفه الرحيم تجاه المرأة التي كان يجب أن تُرجم بدلاً من أن يطلقها دون عقاب (يو 8:1-12)، كما احتار سمعان حين غفر للمرأة الخاطئة لأنها أحببت كثيراً (يو 12:1-9) وانبهر يسوع نفسه بإيمان المرأة الكنعانية التي أخرجته من قوقعته اليهودية قبل أوانه (مت 21:15-29). كما أنه كسر التقليد اليهودي المتمثل بحتمية زواج الفتاة لتكون أمّاً من خلال فتحه باب البتولية والخدمة خارج إطار الزوجية، فنرى نسوة كثيرات يتبعنه بحسب ما يروي لوقا (3:1-8)، وكانوا مع الجماعة المسيحية الأولى ليس كخدمات متجولات كما يظن البعض حتى الوقت الحاضر بل كانوا خادمات البشري، وبالتالي خادمات ليسوع والرسول.

لم يتم إلغاء أو تهميش المرأة كما فعل علماء الشريعة اليهود، حيث لم يقبلوا نسوة في ما بينهم. فيسوع احترم مريم أخت لعازر كمفكرة

³⁹ ماريان إبراهيم، المرأة في العهد الجديد، مجلة الفكر المسيحي (العدد 11، آذار 1975)،

بغداد، ص 130-131.

⁴⁰ يقول التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية "لذا الخصوص في العدد (2334): "إن الله، بخلقه الكائن البشري ذكراً وأنثى، منح الكرامة الشخصية على حد سواء للرجل والمرأة". ويقول أيضاً في العدد (2335): "كلّ من الجنسين هو صورة لقدرة الله وحنانه بكرامة متساوية، وإن كان ذلك بطرق مختلفة. واتحاد الرجل والمرأة في الزواج هو طريقة للاقتداء في الجسد بسخاء الخالق وخصبه". فإذاً تجسيد عملية الخلق يجب أن تكون مكرّمة بتكريم الأشخاص القائمين بها.

قادرة على التعلم مثلها مثل الرجل (لوقا 10:38-42). فالمرأة رافقته بحب وصبر أكثر من التلاميذ أنفسهم، فنراها تحت أقدام الصليب بشخص العذراء مريم ومريم المجدلية وأخريات (يو 19:25). والمرأة هي أول من بشرت الرسل بالقيامة (يو 20:1-2).

لقد عني يسوع بالمرأة كثيراً حتى من خلال تعاليمه. فإننا نلاحظ أن يسوع استخدم المرأة في أمثاله ومواعظه، الدرهم المفقود (لوقا 15:8-10)، الخميرة في العجين (مت 13:33)، العذارى العشر (مت 13:25-1)، ففي الأخير لا يتأخر عن تقديم المرأة كمستقبلة جيدة وساهرة عظيمة لمجيء ابن الإنسان.

كما أن يسوع رفض النظرية القائلة بأن المرأة ما هي سوى شيء من ممتلكات الرجل في الزواج، فلقد رد يسوع كرامة المرأة حين يتكلم عن الزواج (مت 19:1-12) والزنى (مت 5:27-28). فيسوع لا يسمح بالطلاق نهائياً لأنه مكتوب منذ البدء ذكر وأنثى خلقهما مضيفاً أن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان. ولما يقدمون له سماح موسى، يُفهمهم يسوع أنه حتى بهذا الترخيص يكون الطلاق والزواج ثانية زنى إلا في حالة كون سبب الطلاق هو الزنى. فيسوع أوجب من يتخذ له زوجة أن يراعي حقوقها أن يعرف أنه يرتبط بعهد إلهي وضعه الله منذ البدء وليس الزواج مجرد إشباع شهوات الرجل أو من أجل التكاثر. وهذا بديهياً يعلمنا أن يسوع برفضه الطلاق رفض تعدد الزوجات الذي لا يتلاءم والشريعة الأخلاقية.

أما مفهوم الزنى فقد صار مفهومه مع يسوع أي محاولة لجعل المرأة مادة استهلاكية أو مجرد إرضاء لرغبات حيوانية ناسين أو متناسين أنها إنسان تتمتع بكرامة تساوي كرامته. فيسوع لم يجعل المرأة هي السبب لأنه لم يقل ماذا تلبس أو ماذا تنبذ من الملابس لكي لا يشتهيها الرجل. بل المشكلة تكمن في نظرة الرجل والمجتمع إلى المرأة: فهل ينظر إليها كإنسانة يجب أن يُحترم فكرها؟ أم كوعاء للجنس فقط؟ فيسوع رفض اعتبار جسد المرأة شيئاً معيباً لأن ما يسيّر الرجل هو عقله وفهمه للآخر وليس شهوته. إذاً الرؤية مهمة جداً لحفظ كرامة المرأة، رؤية واضحة للرجل تجاه المرأة ورؤية المرأة لجسدها أيضاً. ولكي نفهم بصورة أوضح موقف يسوع من المرأة سنتوقف عند عدة محطات من حياة يسوع. مركزين على إنجيل يوحنا الذي تعمق أكثر في لقاءات يسوع مع المرأة، وإن لم يذكر نساء مثل لوقا الذي عمل ثورة فكرية حيث كتب عن نساء في مجتمع يحتقر المرأة، أنهن شكّلن فرقاً تتحرك نحو صرف أموالهنّ لشخص متجول ويسافرن معه (لو: 8-1-3).

1. يسوع والمرأة السامرية (يو: 4-1-42):

إن الحديث مع المرأة هو بحد ذاته التعدي على عادات وتقاليد مجتمع يرفض التكلم مع امرأة على انفراد، فكيف الحال مع امرأة غريبة وسامرية أي عدوة. لقد تفاجأت المرأة في البداية من هذا الذي يكسر حاجز الممنوع في مجتمع كله غير مسموح. ولم يقتصر يسوع على كسر حاجز المجتمع بل حاجزها الداخلي أيضاً من خلال كشف

أوراقها. فحين رأت المرأة نفسها الحقيقية رأت يسوع الحقيقي، ونسيت الجرة لتخبر أبناء مدينتها بأنها وجدت المسيا. بهذا النسيان نسيت المرأة ماضيها، لان يسوع قال لها: إنك أنت ذاتك ولست غيرك، أنت إنسانة لها أخطائها ولكن تبقيين إنسانة تبشرين وتشهدين فشهادتك صادقة وفعالة⁴¹.

2. يسوع والمرأة الزانية (12-1:8):-

في الفصل الثامن نرى صورة امرأة ارتكبت خطيئة فادحة بحسب ناموس موسى وتستوجب الرجم. ولكن لهؤلاء الرجال تجربة يسوع أفضل لهم من رجم امرأة لا قيمة لها. يقف محرر المرأة أمام خيار صعب هل سيسمح بمثل هذه التجاوزات؟ هل حريتها تسمح لها بهدر كرامتها أم يحكم لها بحسب الشريعة؟.

ولكن الجواب الشافي نجده دوماً عند يسوع "وأنا أيضاً لا أدينك، فاذهبي ولا تعودي للخطيئة" (يو:8:11). إذاً عدم حكم مع نصيحة أو إنذار شديد مس الصميم. لك فرصة ثانية، ليست حالتك شر لا بد منه. بشري برحمة يسوع في المجتمع القاسي الذي حرم المرأة أكثر الأشياء وحلل للرجل كل شيء. وإلا يا ترى مع من كانت تمارس الزنى؟ أين الرجل؟ هل مسموح له أن يعمل ما يشاء؟ كل هذا غير مذكور في التوراة، فالشريعة تقول: "كل من زنى بامرأة إسرائيلي آخر يُقتل الزاني

41 مرسيل هدايا، المرأة في إنجيل يوحنا، بيبيليا، العدد 10 نموز-آب (1991)، جيبيل - بيبيلوس - لبنان، ص5.

والزانية" (لا20:10)، ولكن يسوع قهر قراءة المجتمع للتوراة برحمته
الفائقة⁴².

3. يسوع والمجدلية (1:20-18):-

أكرم يوحنا المرأة حتى جعلها أول من يبشر بقيامة يسوع، المرأة التي أحببت يسوع حتى تحت أقدام الصليب. إنها مريم المجدلية التي يبدو وأن يسوع كان يناديها بطريقة خاصة جداً ولم تعرفه حتى قال لها مريم! فأجابت بالعبرية: رابوني. لقد أرادها أن تكون هي ناقلة بشرى الخلاص بشرى الحياة "يسوع حي" هوذا يعطي سلطة البشارة وزرع الإيمان للمرأة بعد أن أعطى السلطة الراعية للرجل.

إن يوحنا ينفرد بدعوة يسوع للنساء لحمل البشارة إلى الآخرين. فالسامرية ومرتا والمجدلية والزانية اختارهن يسوع جميعاً وأشركهن في رسالته الخلاصية. لذلك لم تختلف نظرتهم في مشاركتها في العمل الخلاصي عن نظرتهم إلى الرسل في دعوتهم.

وهنا يجب أن نسأل: هل يمكن للمسيح أن يرسل الشر للتبشير بكلمته؟ لا اعتقد كما لا يعتقد أي واحد لو سئل مثل هذا السؤال. فالخير الأسمى لا بد له من الاعتماد على الإنسان الصالح، وحتى الخاطئ لكن بعد توبته. فإذاً يسوع في موقفه هذا أسقط جميع الظنون باعتبار المرأة شر، أو نسب أي علاقة بينهما. فالشر متواجد في قلب الرجل كما في قلب المرأة وكلاهما يتصوران الشر في قلبيهما (تك8:21).

⁴² راجع، كوستي بندي، كوستي بندي، المرأة في موقعها ومرتهاها، منشورات النور، لبنان، ط2، 2000، ص96-98.

2. المرأة في رسائل بولس:

مثلما أشرك يسوع نساء كثيرات في رسالته هكذا فعل بولس الرسول، وهذا ما يتضح عندما نتصفح رسائله وكتاب أعمال الرسل، لقد كان لهنّ دور هام في العمل التبشيري الذي حققه بولس. إن حضور المرأة ومشاركتها من الأمور الأساسية في حياة الجماعات، والكنيسة، والمجتمع. بيد إن بعض نصوص بولس تبدو وكأنها تعلمّ العكس.

1- في الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

تعتبر الرسالة قانونية وأصلية لبولس، وهي تحتوي على أحاديث شتى تتعلق بموضوع المرأة. لذلك هناك التباس حير الشارحين في رأي بولس بشأن المرأة. فقد ظهر بصورة خاصة ومميزة في رسالته هذه حيث يرد ذكر المرأة عدة مرات:-

★ **1كور الفصل السابع:** يعالج بولس في هذا الفصل موضوع الزواج والبتولية. لقد أعطى بولس نكهة خاصة للزواج المسيحي، معطياً فيه نوع من المساواة والرقي لكرامة المرأة المهدورة في الزيجات الأخرى بصورة عامة. فالزواج المسيحي يبقى بين رجل واحد وامرأة واحدة، فلا تعدد أزواج ولا تعدد زوجات. وكالعادة يحاول بولس أن يحذو حذو المسيح في تعليمه، فأكد رأي يسوع في ثبات الزواج وعدم فسخه بأمر صريح ومطلق، وهذا أيضاً مساواة بين الرجل والمرأة.

أما بخصوص البتولية علمنا أن فكرة الشعوب عن الأنثى هي العيش لتكبر تحت سلطة الأب، وتخضع فيما بعد طوال حياتها تحت سلطة الزوج. لذا أصبحت البتولية بمثابة محرر للمرأة من سيادة الرجل

لها. ولقد فضّل بولس البتولية على الزواج لا من حيث الجوهر ولا الطبيعة فكلاهما في نظره على حد سواء هبة من الله. وإنما من أجل ملازمة الرب والاهتمام الكامل بإرضائه بغير انقطاع (35/7). وفي هذا أيضاً نوع من المساواة بين الرجل والمرأة⁴³.

★ (1كور 2/11-16): بالرغم من أن بولس واصل تعاليم يسوع إلا أنه اهتم كثيراً بتفاصيل الليتورجيا بغية الحفاظ على النظام الليتورجي أكثر مما اهتم يسوع بها.

"فلى الرجل أن يصلي في الجماعة مكشوف الرأس، بينما المرأة مغطاة الرأس" كل امرأة تصلي أو تتنبا وهي مكشوفة الرأس تهين رأسها، أي الرجل كما لو كانت محلوقة الشعر" (1كور 5/11).

لقد فسّر بولس هذا التقليد مستعيناً بثلاثة براهين: الأول كتابي لاهوتي لأن الله هو رأس المسيح، المسيح رأس الرجل والرجل رأس المرأة. بحسب عقلية بولس ما كان ممكناً أن تقوم قائمة لأي جماعة ما لم تعتمد على الهرمية في تنظيمها. فينعكس المجد بقلب الآية أي المرأة صورة ومجد الرجل، الرجل صورة ومجد المسيح والمسيح صورة ومجد الله. ولمعرفة بولس بضعف هذا البرهان التجأ بولس إلى برهان ثاني طبيعي من واقع الحال، فالنساء المسيحيات كن يصلين مغطاة الرأس حين كنّ وثنيات بعد. ولأن العادات تتغير وتتطور برهنه بولس ثالثاً بواسطة سلوكه الشخصي في التنظيم الكنسي قائلاً: "فإن أراد أحداً أن

⁴³ يوحنا الخوند، رأي بولس في امرأة قورنثس، ببيليا، العدد 25 ك2-شباط (1994)، جبيل-بيبلوس-لبنان، ص6.

يعارض، فما هذه من عادتنا ولا من عادة كنائس الله" (1كور 16/11)⁴⁴.

قد يرى البعض أن هذا إجحافاً بحق المرأة، لكن لكل عصر أسرارته. فالرئاسة لا بد منها على شرط أن تفهم على أنها رئاسة عناية واهتمام ومسؤولية وليس رئاسة تحكم وتسلط. فبولس يضع المرأة بين يدي الرجل مشبهاً إياها بالكنيسة بيد المسيح، فعليه تحريرها وليس سحقها. إذ الرأس تعني من يحرص على خدمة الآخر ويصون كرامته وليس أن يتسلط عليه.

★ "وكما تصمت النساء في جميع كنائس الأخوة القديسين، فلتصمت نسائكم في الكنائس، فلا يجوز لهن التكلم. وعليهن أن يخضعن كما تقول الشريعة. فإن أردن أن يتعلمن شيئاً، فليسألن أزواجهن في البيت، لأنه عيب على المرأة أن تتكلم في الكنيسة" (1كور 14/33-35).

ماذا يريد بولس بهذا القول؟ ألم يؤذن للمرأة قبل عدة فصول أن تصلي وتتنبأ، فلما التحول المفاجئ؟ قلنا بأن هذه الرسالة هي لمار بولس بالتأكيد، ولكن الكثير من علماء الكتاب المقدس يشككون بهذا النص من الرسالة، معتبرين إياه دخيلاً لثلاث أسباب:

1- عبارة "لا يجوز" هي صيغة أدبية لاحقة لمار بولس وليست من زمنه.

⁴⁴ المصدر السابق.

2- الخضوع هو صدى لرسائل الغير بولسية وخصوصاً كولوسي وأفسس.

3- هذا النص لا يطابق مع ما جاء في (1كور 2:11-16) حيث يسمح للمرأة بالصلاة والنبوة وبمنزلة مساوية لمنزلة الرجل⁴⁵.

فهذا القول خدم الكثيرين ليعلقوا ويستغلوا المرأة، وكأنه القول الوحيد لبولس في سبيل نشر سيطرة الرجل على الكنيسة وإبعاد المرأة عن بعض الوظائف الرسولية. أ وليس بولس هو الذي قال: "كل امرأة تصلي أو تتنبأ...." (1كور 5/11). فإذاً بولس كان يعرف أن ما يقوله ليس عاماً ينطبق لكل زمان ومكان، بالعكس عرف أنه هناك من لا يتحمل هذا الواقع مقدماً. فما أراد بولس هو أن تكون المرأة سيدة محترمة بلا عيب في نظر الجميع وهذا يبرز مكانة المرأة عند بولس ومدى حبه لها. فبولس معروف من أقواله الميالة إلى حنان المرأة وعاطفتها. فنقول صحيح أن هذه الكلمات هي من الإنجيل ولا يمكن محوها، ولكن لنساهم بفهمها من وجهتها الصحيحة كي نعمل جاهدين لخلق المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة⁴⁶، قائلين مع مار بولس: "ولا فرق الآن بين يهودي وغير يهودي، بين عبد وحر، بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد في المسيح يسوع" (غل 28/3)⁴⁷.

⁴⁵ راجع، فكتور بول فرنش، تعاليم مار بولس الأخلاقية (قضايا مختارة)، ت: ريوار غوديش باسة الراهب، منشورات مركز جبرائيل دنيو الثقافي (26)، بغداد، 2005، ص 133-134.

⁴⁶ المصدر السابق.

⁴⁷ وإن كان فعلاً هو من قد قسا قليلاً على المرأة في رسالته الأولى إلى كورنثوس، فمحاولةً للحد مما كان سارياً في مدينة كورنثوس حيث كانت النسوة يعملن بغايا في المعبد، وهذا عكس ما نراه في

2- في رسائل بولس الأخرى:-

وللمرأة دور كبير مع بولس نلاحظه من الرسائل الأخرى:-

رومة:- يأتي ذكر النساء في التوصيات الختامية في الفصل السادس عشر، مذكراً بمكانتها في حياة بولس والكنائس التي أسسها. فنجد فبيرة التي تريد الارتحال إلى رومة والملقبة بشماسه⁴⁸ قنخرية وهي مهمة رسمية في الكنيسة آنذاك ونادراً ما نجده، وقد تكون هي من حملت الرسالة إلى رومة. ولقد كانت هذه المرأة تدافع عن المؤمنين المسيحيين بصورة عننية وسط العالم الإغريقي الوثني لذا يدعوها بمحامية الكنيسة (1-2). كما ويسلم على معاونيه برسقلة وأكيلا الذين عرضا حياتهما للخطر من أجله ويشكرهم ليس باسمه فقط بل باسم كنائس المؤمنين جميعاً (3-4)، ولهما دور في تعليم أبلوس. ويسرد بعدها الكثير من شاركو في الخدمة والتبشير والتنبؤ. فيذكر بولس جميع هؤلاء النسوة كشماسات، مبشرات، رسولات وعاملات من أجل ازدهار الكنيسة. ويبدو أنه يحنّ عليهن لذا يعاملهنّ برقة منادياً إياهنّ: أمه، أخته ورفيقتة بالأسر⁴⁹.

فيلبي:- في فيلبي نرى شيئاً مدهشاً للغاية النساء هم أول من يحضرن لقاء الصلاة مع بولس لتبرز منهن ليديا بائعة الأرجوان التي

الرسائل الأخرى. فالاعتماد كان يتوقف على ثقافة الكنيسة المرسله إليها الرسالة. فلكل مجتمع ثقافة وعادات وتقاليد خاصة.

⁴⁸ هذا اللقب يؤيد فكرة هذه المؤسسة. فحين يذكر بولس هذا اللقب في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (11/3). يقول

البعض إن نساء الشماسة فقط.

⁴⁹ أنور زكي، المرأة في الكنيسة المصرية، دار الثقافة- القاهرة، 1995، ص 109-116.

أنصتت إلى كلام بولس ففتح الرب قلبها للإيمان واعتمدت، ثم دعت بولس ورفاقه إلى بيتها وبقوا عندها طوال مدة إقامتهم في فيلبي (15-11/16). كما أنها ساعدت بولس وسيلا للخروج من السجن بدفع فدية عنهما، ومساعدة بولس والجماعات المسيحية مادياً باسم كنيستها كنيسة فيلبي. فكان لبولس الشجاعة في أن يخرق تقليد شعبه وأمر النساء في فيلبي بأن يؤسسن جماعة. كما نجد من ناضلتا مع بولس في سبيل الإنجيل وهما أفودية وسنتيخة حيث قامتا بدور رسولي مهم في فيلبي أيضاً (2/4)، ويوصي الرفيق الأمين أن يعتني بهما (3/4). **تيموثاوس الأولى**:- في كل كنيسة مجتمعة في بيت يبرز أسم امرأة، لأنها كانت في البيت تحاول جاهدة أن تأخذ مكانها وتشارك فعلياً. وهناك تلميحات لمثل هذا النشاط في الاجتماعات (14-11/2). هذا القول ليس ضد المرأة ولكن كان صعباً أن يكون عمل المرأة مطابقاً لعمل الرجل. لأن امرأة ذلك الزمان كان مكانها الأوحد هو البيت. لذلك يطلب منها أن تكون أماً لتخلص ولا يعني أن هذا هو الطريق الأوحد بل الأفضل. لذلك بدأ نشاط المرأة في الكنائس البيئية عارماً وخصوصاً من خلال ظهور مؤسسة الأرامل⁵⁰ (16-3/5). التي كرّست نفسها للصلاة وخدمة النساء من خلال التعليم وزيارة المرضى.

فإذا نستنتج من تعليم بولس، أن المرأة كان مكرّمة من خلالها حضورها الفعّال في الجماعات المسيحية الأولى. من خلال النشاطات

⁵⁰ لقد ظهرت مؤسسة أخرى وتؤكد وجودها في القرن الثالث وهي الشماسة. وكانت تركز بوضع الأيدي. وكانت تقوم بمثل هذه الأعمال وحتى الدهن عند المعمودية ولليئة المعوزات.

الاجتماعية كالزيارات والدينية كالتبشير والتعليم والطقسية من خلال التعميد.

3. المرأة عند آباء الكنيسة:

لو فتّشنا كتابات الآباء عن المرأة لما وجدنا مدحاً خالصاً أو ذمّاً دائماً، بل سنجد الاتيين معاً. حتى عند نفس الشخص نرى النقيضين، فما هو السبب في ذلك؟

اعتبر الآباء أن البتولية هو الطريق الوحيد للخلاص بالنسبة للمرأة، لأنها السبب في العصيان الأول. وعليها أن تختار البتولية لكي تغتسل من ذنب أمها حواء. ولأنهم لم يعرفوا نموذجاً واحداً للمرأة بل اثنين، حواء ممثلة الشر والنقمة ومريم ممثلة الخير والنعمة، حاول الآباء التكلم عن المرأة انطلاقاً من هاتين الفكرتين. لم يتكلم الآباء عن المرأة اعتباطاً، بل برروا أقوالهم كتابياً ووضعوا قواعد نظرية. ولكن للأسف الشديد هذه التبريرات واهية جداً إلى درجة يسهل على المرء نقدها وبرهنة نقيضها.

المرأة معين لآدم:-

قد يكون فم الذهب أكثر من حاول الدفاع عن مفهوم "المرأة كمعين للرجل". فهو لا يعتبر المرأة فقط معينة لأنه أراد أن يميز بينها وبين الحيوانات، فيعتبر المعين موجود في هذه الحيوانات التي تساعده

في أعماله، ولكن الأهم يبقى "معين نظيره" الذي لم يجده في الحيوانات. ولذلك خلق الله حواء مساوية لآدم بالكرامة. إلا أن الذهبي الفم لا يعتبر المرأة صورة لله حالها حال الرجل، وهذا منذ الخلق أي حتى قبل السقوط. فيوحنا فم الذهب لا يعتبر الصورة هنا "جوهر" بل "سلطان". وبما أن الحواء خُلقت معينة فهي ناقصة السلطان. ويبرر قوله هذا معتمداً على قول للرسول بولس في رسالته الأولى إلى جماعة كورنثوس (10-7:11): "فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ويعكس مجده، وأما المرأة فتعكس مجد الرجل،... لهذا ينبغي للمرأة أن تغطي رأسها علامة الخضوع، من أجل الملائكة". فيشبهه الرجل بالله الذي لا يسود عليه أحد في حين أن المرأة يسود عليها الرجل بأمر إلهي "إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" (تك3:16).

المرأة والخطيئة الأصلية:-

لو أخذنا مسألة التبعية فهم يعتمدون كلياً على رواية الخلق الموجودة في الفصل الثاني من سفر التكوين حيث حواء خُلقت من آدم، بينما يغضون النظر عن رواية الخلق في الفصل الأول من نفس السفر والتي تتكلم عن خلق الذكر والأنثى على صورة الله ومثاله في الوقت ذاته⁵¹.

⁵¹ راجع: البيزيبث أ. كلارك، الآباء والمرأة (سلسلة رسائل آباء الكنيسة)، ترجمة: إدوارد وديع عبد

المسيح، دار الثقافة - القاهرة، 1998، ص15.

ولكن أغلب الآباء متفقون على أن هذه التبعية هي ضرورية وخاصة بعد السقوط لأن المرأة هي كانت السبب الرئيسي. فالقديس أوغسطينوس ركّز على أن حواء هي من أغوت وليس آدم، وهو يعتمد في هذا على قولٍ للقديس بولس في رسالته الأولى لتيموثاوس "لأن آدم خلقه الله أولاً ثم حواء. وما أغوى الشرير آدم، بل أغوى المرأة فوقعَت في المعصية" (2:13-14). كما ويتهم المرأة بضعف الذكاء وربما أنها كانت مازالت تعيش وفقاً لدوافع الجسد الدنيئة بدلاً من العقل السامي. وكذلك القديس أمبروسوس في كتابه "الفردوس" يؤكد بأن المرأة هي من ابتدعت الإغراء لأن الكتاب المقدس يحدد الجنس الذي تعرض للخطأ أولاً، وهو بالتأكيد جنس حواء. ويعود فم الذهب بسبب خضوع المرأة للرجل إلى دورها في الخطيئة الأولى⁵².

أما ترتليانوس فلا يقف عند هذا الحد بل يتعداه ليخبر النسوة أنهن اكتسبن فعلة حواء أي خزي الخطيئة الأولى وكراهية العصيان البشري. ويوبخ النسوة في زمنه قائلاً لهن: "أنتنّ بوابة الشيطان، وأنتنّ أول من أكل من تلك الشجرة، وأنتنّ أول من عصى ناموس الإلهي، وأنتنّ اللاتي حرصتنّ ذاك الذي حتى الشيطان لم يجرؤ على الاقتراب منه، وأنتنّ سحقتنّ صورة الله بكل استخفاف أي آدم بسبب عقوبتكنّ أي الموت"⁵³. ولكن النقيض موجود أيضاً ولكن قبل السقوط حيث كان للمرأة نصيب في حسن خليقة الله، وهي تساوي للرجل كرامةً.

⁵² راجع: المصدر السابق، ص34-38

⁵³ المصدر السابق، ص34.

الفصل الثالث المرأة في الإسلام

إن موضوع المرأة في الإسلام هو من المواضيع المهمة التي يجب تناولها بنوع من الإسهاب نظراً لخبرتنا بهذه الديانة التي نعيش في بلد غالبية سكانه منها.

المرأة في القرآن:-

لقد خصَّ القرآن النساء في كثير من جوانب الحياة فأكثر من ربع القرآن يخصصهن والأهم من ذلك هو إنزال سورة باسمهن وهي "سورة النساء". كما عني بها عناية فائقة وأعطاهما من الحرية ما لم تكن تحلم به، ولها حقوق وواجبات ومثلها عليها. فنراه يوصي بالعطف عليهن ورعاية حقوقهن وتحريم إيذائهن أو أخذ شيء منهن دون رضاهن "الطلق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بأحسن ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به" (سورة البقرة 228).

إن الله خلق هذا الكون البشري من ذكر وأنثى، وجعله شعوباً للتعارف. فسعادة كل واحد منهما بوجود الآخر بجانبه سعيداً، فيقول القرآن: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون" (الروم/21).

كما ورفض نهائياً مسألة كون المرأة هي السبب في هبوط الإنسان إلى الأرض بعدما طُرد من الجنة، فهو يؤكد بأن السبب هما آدم وحواء معاً لأنهما طُردا معاً، وطلبا المغفرة والرحمة معاً فتاب الله عليهما معاً وهذا ما نجده في سورة البقرة (35-36) "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكوا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها وأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض....".

ولكي يقضي القرآن على كل تفرقة أساسها الجنس نادى بأهداف عامة داعياً البشر كافة إلى تحقيقها. ومن بين تلك الأهداف القضاء على الاستغلال بكافة أشكاله والظلم الاجتماعي بما فيه من حرمان، إساءة معاملة، الفساد، إتباع الشهوات، الدنس الاجتماعي والفسق. ولقد نبذ القرآن الوأد الذي كان منتشرًا بين العرب، حيث يوصى النبي في الآية التالية من سورة الممتحنة (12) "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا

يزنين ولا يقتلن أولادهن". وفي قول آخر "قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم" سورة الإنعام (140)⁵⁴.

وليست أهداف القرآن جميعها سلبية أو آمرة، فالإيجابيات أيضاً هي فريضة على كل مسلم ومسلمة. كما أنه لا يلقي باللوم دوماً على المرأة في حالة الخلاف بل هناك صلح من الطرفين "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهلها وحكماً من أهله أن يريد الصلح يوفق الله بينهما إن الله عليم خبير" (النساء 34). وكذلك العقوبات ليست حكراً على أحد الجنسين، فالقرآن أوضح جلياً أن الرجل والمرأة يُعاقبان على السواء بلا تفرقة أو تمييز سواء في الدنيا أو الآخرة "فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم" (النور 12). وهذا يؤكد أيضاً أن مصير الرجل والمرأة يتحدد وفق مبادئ العدل والتقوى والمعروف والبر. فالجنة للمرأة والرجل وليست فقط للرجل⁵⁵.

المرأة في الحديث:-

لا يخفى على أحد المكانة العليا التي تحتلها السنة النبوية، إذ هي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي والفقه، وهي شارحة لكلام الله. وقد علم هذا كله الصحابة، كما عرفوا ضرورة الحفاظ عليها، فسلكوا مسلك الحيطة الشديدة في قبولها من الآخرين، والتأكد من صحتها قبل أن يتحدثوا بها.

⁵⁴ عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان 1966ص229-230.

⁵⁵ المصدر السابق، ص226-249.

كيف لا يولي نبي الإسلام المرأة في سنته مكاناً مرموقاً، وهي أول من شجعته وآمنت بنزول الوحي عليه. فالمرأة هي أول من نصرته لقد اعتبرها سالحة، عاقلة ونبيلة. لقد كانت المرأة بشخص خديجة بنت خويلد نقطة تحول في حياة محمد وذات أثر كبير. لقد كان محمد طوال حياته يحنّ إليها كلما يتذكرها حتى سئمت عائشة منه لأنه كان يبكي عليها تلهفاً ووفاءً لها فيقول: "تصرتي حين خذني الناس، وأوتني حين طردني الناس"⁵⁶. لذلك جاء بأوسع من هذا في حقهنّ فجعلهنّ ودائع الله وأمانته فيقول: "إنها حبيبة نفسي من الدنيا وقرنها الصلاة وهي قرة عيني"⁵⁷. وحاول جاهداً أن يبحث للمرأة أعظم حق. حتى أنه حاول غض النظر عن بعض ميولها وشؤونها المنحرفة مهما كانت عاقلة وعالمة ومفكرة، أي فليحاول الرجل معاشرتها بالمعروف رغم اعوجاجها، لأنها مكلمة له كما أنه مكمل لها. وكل محاولة لتعديلها ستسبب فراقها عنه، فيقول: "المرأة كالضلع، إن قومتها كسرتها. وإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج"⁵⁸. ولكن اليوم يحاول الإسلام أن يعتبروا هذا نتيجة للخلق، حيث أخذت المرأة من الأضلاع من عظم أعوج وليس مستقيماً.

يُعتبر عصر صدر الإسلام عصراً ذهبياً للمرأة. وإن كان هناك بعض الاعتراضات من علماء السنة خصوصاً حيث يعتبرون كل بداية

⁵⁶ حسين السيد علي القبانجي النجفي، الجواهر الروحية، مطبعة النجف - النجف 1955ص190.

⁵⁷ المصدر السابق، ص189.

⁵⁸ ابن الجوزية، فتاوي رسول الله، مكتبة النهضة-بغداد، 1988، ص163.

بحاجة إلى تثبيت من اللاحقين، وكل الظلم والمعاناة التي تشهدها امرأة اليوم، يعتبرونه تثبيت لما أتى به نبي الإسلام.

لقد كان في عصر صدر الإسلام من النساء من تعيَّش زوجها الفقير استجابة لرغبة الرسول في المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات. وهذا دليل قوي على كون الرجل غير مخوّل أو توماتيكياً بأن يسيطر على أموال الزوجة حالما يتزوج. فخديجة لا يُغتصب مالها من محمد بل هي التي تأتمنه عليه ولأمانته شاركته بكل ما تملك. ولقد أكد محمد هذه المبادئ محاولاً تصحيح مفاهيم الرجال فيطلب منهم قائلاً: "أُتكوها النساء لمالهن أو جمالهن أو نسبهن أو دينهن"، "أطعموهن مما تاكلون، وأكسوهن مما تلبسون، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن"⁵⁹.

فهذه الدعوات من شأنها أن تغير من مواقف الرجال ومسلكتهم ونظرتهم للأولويات التي يتزوجون لأجلها، دون نسيان الجانب الديني والأخلاقي في إطار التطور الاجتماعي الذي يبغيه الإسلام. "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على البعض وبما أنفقوا من أمواله" (سورة النساء 12). ولم تكن القوامة مساوية بين الاثنين لعدم توفر العمل للمعيشة لكل النساء، ولكي لا يحاول الرجل التنصل من هذه المهمة العسيرة. وخاصةً الرجل المهمل الغير مهتم بأسرته. كما أمر النساء أن لا يستغلوا الرجال، فحين جاءت امرأة تشكوه بخل زوجها قال: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"⁶⁰.

⁵⁹ عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحرية، دار الهلال-القاهرة، 1952، ص82.

⁶⁰ ابن الجوزية، فتاوي رسول الله، مكتبة النهضة-بغداد، 1988، ص123.

"ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة". ما هي هذه الدرجة؟ ليست كما ذهب البعض إلى العقل أو الإرادة أو القيمة. فلقد ذهب البعض إلى القول أن محمد وعد للرجال دون النساء حياة رائعة ما بعد الموت حيث يستلقون على أرائك مزينة بالجواهر ويخدمهم غلمان مخلدون بأباريق وأكواب من أجود الخمور وأشهى الفاكهة وأحب الطيور، أما النساء لأنهم اعتبروا هذه الدرجة هي الروح فالمرأة بلا روح⁶¹. ولكن بالحقيقة هذه الدرجة ما هي سوى القوامة نفسها التي ذكرناها قبل قليل. والبعض الآخر يستند إلى أقوال تحتاج إلى أن نفهمها ضمن عصرها. فمن مقولات محمد "أظلت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأظلت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"⁶². وهذا لا يعني عدم دخولهم الجنة بل كان يرى أن النساء أقل عناية بأوامره وأكثر عصيانياً من الرجال. ولكن حين دخولها الجنة لها كما للرجل. وهذا ما يؤيده القرآن في أكثر من موضع: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضهم من بعض" (آل عمران: 195)، "وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها" (التوبة: 72).

أقوال إسلامية في المرأة: -

⁶¹ لقد ساد ذلك الزمان هذه المقولة (المرأة بدون روح)، ولقد عُقدت في أوروبا مجامع لبت □ لذا

الموضوع وخاصة في فرنسا.

⁶² خير الله طلفاح، مختارات من الأحاديث النبوية، مطبعة الشرق الأوسط - بغداد، 1983، ص 64.

يقول محمد عن الخلوة بالمرأة: "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا بذي محرم"، ويقول أيضاً "إياك والخلوة بالنساء فهو الذي نفسي بيده، ما خلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم الرجل خنزيراً متلخاً بالطين خير من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له".

بالرغم مما قلناه عن محمد أعلاه إلا أن أقواله عن الخلوة والحجاب لم ترق للمعاصرين كثيراً، فهو لم يحبذ خلوة الرجل بامرأة ليست بذي محرم. لاعتباره المرأة في الخلوة شرط من شروط حضور الشيطان في موقف معين. وبقوة القول الثاني مُنعت النسوة من دخول الكعبة للتطواف مع الرجال، لنلا يحدث ويزحم منكبي الرجل منكبي امرأة لا تحل له.

ولا زالت آثار هذا الكلام شاخصة حتى عند أغلبية المسيحيين الذين يتعايشون مع أخوتهم الإسلام. حيث يعتبرون خلوة الرجل بالمرأة شرط أساسي لحضور الشيطان.

أما الحجاب⁶³ فقد أكد محمد في قول له لام سلمة وميمونة أن يحتجبا عن ابن أم مكتوم فقالتا: "أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ ولكن محمد نهرهما وقال: أفعمياوان أنتم؟ ألستما تبصرانه". فإذا مفاتن المرأة خطيرة وإن لم يكن في نظر محمد بل في نظر من خلفه. يقولون: "سحر المرأة في شعرها" وهذا السحر ليس غريباً عن الإنسان

⁶³ لقد اشتقت كلمة الحجاب من كلمة دم باللغة العربية ومنه اشتق الدميم والدمامة بمعنى قبح الوجه. راجع، سلامة

موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة العربية- القاهرة، 1956، ص9.

البدائي حيث ذكرناها، لذا على المرأة تغطية سحرها لئلا يصيب الرجل فيقع في حبال المرأة!.

ويقول الرسول أيضاً: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء". لماذا هي فتنة، وهو يقول أنها حبيبة نفسي وقرّة عيني؟ لما كل هذا التناقض في أقوال لم يجدوا لها حلاً جيداً. يعتبرون المرأة وكأنها تلهي الرجل عن الله. وفي محاولة لشرح هذا النص يقول الدكتور يونس قرضاوي: لا ينكر أحد أن أكثر الرجال يضعفون أمام سحر المرأة وجاذبيتها وفتنتها، وخصوصاً إذا قصدت إلى الإثارة والإغراء، فإن كيدها أعظم من كيد الرجل. ومن ثم لزم تنبيه الرجال إلى هذا الخطر، حتى لا يندفعوا وراء غرائزهم، ودوافعهم الجنسية العاتية⁶⁴.

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قوله: "المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها"⁶⁵.

لهذا الكلام صدى قوي لدى النفوس الإسلامية التقية التي تنتظر إلى علي وكأنه صاحب الرسالة بدلاً من محمد. ومهما قال الناقدون بكون هذه الجملة وغيرها من الجمل لا تعود إلى علي ولا إلى زمانه أو أسلوبه، ف تبقى الجملة مسماة باسم علي، وتنفذ لأنها جاءت من أمير للمؤمنين.

⁶⁴ هل المرأة شر كلها، يونس القرضاوي، (من الأنترنت).

⁶⁵ المصدر السابق.

الفصل الرابع المرأة المعاصرة

1. المرأة بين فرويد ونوال السعداوي:

اثتان من الكبار اللذان تعاملتا مع موضوع المرأة بإسهاب لا بل الأصح تعاملتا مع المرأة نفسها كشخص بشري ولكن بنظرتين متنافرتين، سنتاولهما بنوع من الاختصار.

★ فرويد والتحليل النفسي

يُعتبر فرويد أبو التحليل النفسي، ولهذا سنأخذ موقفه من المرأة بنوع من الأهمية لأن فكرته لا زالت طاغية عند الكثير من المحللين الذين تبعوا منهجه.

لقد رأينا في بداية البحث كيف يتحول المجتمع من كونه أمومي إلى أبوي، لأسباب ذكرناها. لكن يبدو أن لفرويد رأياً آخر _ وأنا شخصياً لا أوافقهُ _ ففكرة فرويد تتلخص في أن المجتمع منذ البدء هو ذكوري، فلما أحب الذكر الاستملاك تواجدت المرأة التي اعتبرها

موضوعاً جنسياً بحثاً ضمن ممتلكاته. والأخيرة بسبب ضعفها وعطفها على صغارها رضيت بهذا الواقع⁶⁶.

فاذاً أول ما يتطرق إليه فرويد هو أن النساء من طبيعتهن أقل ذكاء وحكمة واهتماماً بشؤون الحياة من الرجل. وقد يكون السبب كون القدرة الذهنية للمرأة تتوقف عن التطور عندما تصل الثلاثين من عمرها، أو لعدم امتلاك المرأة أهلية كبيرة للتصعيد الغرائزي. وبالتالي فإن المرأة لا تستطيع اللحاق بركب الحضارة، فتحاول دوماً السباحة عكس التيار، محاولة هدم التحضر⁶⁷.

كما أن لعقدة أوديب دور مهم في كون المرأة أقل من الرجل، فل هذه العقدة تأثير كبير على الأنا الأعلى لدى الإنسان، لذا نجد المرأة أقل تأنيباً للضمير، لقلة شعورها بالذنب⁶⁸. فالذنب تشعره أثناء معرفتها بعقدة أوديب فلا تكبته لأنها تكتشف منذ البداية أن لها عضو ناقص أي قد خصيت بسبب عقوبة ما. وهذا ما يجعلها لا تخاف لأنها عوقبت مقدماً فلا يتكون عندها الأنا الأعلى بقوة ومن هنا يبدو ضميرها

⁶⁶ سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1982، ص54-55.

⁶⁷ سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1982، ص61.

⁶⁸ ساشاناخت، المازوخية، ترجمة: مي طرايشي، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص112.

أضعف من ضمير الرجل، أو تكّن كراهية لأمها التي تعتبرها من خصتها بسبب غيرتها، أو لإدخالها عالم الإناث⁶⁹.

ولقد ألقى التحليل النفسي فكرة أخرى ليحط من قيمة المرأة، فاستخدم مصطلح "المازوخية"⁷⁰، ويقول أستاذهم فرويد ليست المازوخية شيئاً غريباً في المرأة، بل أنه من الطبيعي أن تكون المرأة مازوخية. وفي أثناء تحليلاته واستشارته التي كانت تضم رجالاً ونساءً، برر موقفه من الرجال المازوحيين على أنهم يتشبهون بالنساء، فيقول: "حين ندرس حالات طرأت فيها على التحليلات المازوخية صياغة ثمينة للغاية، فإنها تضع الشخص في موقف أنثوي نمطي: حالة خصاء، موقف سلبي في الجماع والولادة"⁷¹.

★ الدكتورة نوال السعداوي:

وسأورد في هذا البحث بعض المآخذ للدكتورة نوال السعداوي المرأة المصرية التي هزت العالم العربي بكتابتها الجريئة عن المرأة، وخصوصاً في موضوع الجنس. هذه المرأة التي تستحق وبكل فخر أن تسمى "معيدة المرأة للحياة". وبالتأكيد أوافقها الرأي بما سأورده هنا. لقد كبلت المرأة العربية لقرون بقيود الدين والسياسة والاقتصاد. لذا احتاجت إلى أشخاص يحررون المرأة من مسميات باتت ذات صلة

⁶⁹ سيغموند فرويد، النظرية العامة للأمراض العصابية، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت -

لبنان، 1980، ص 113-123.

⁷⁰ حالة مرضية عصابية تتميز بطلب الألم. فالمازوحي يشعر بحاجة حقيقية، ب "شهية" إلى التألم.

ساشاناخت، المازوخية، ترجمة: مي طرايشي، دار الطليعة بيروت، 1983، ص 5.

⁷¹ المصدر السابق، ص 112.

بالمرأة. لقد عنفت كل من يدّعي أن المرأة مجرد وعاء جنسي، أو أنها خلقت لتُشبع رغبات الرجل، فالمرأة ليست لعبة بيد الرجل، بل إنها إنسانة لها حقوق كما أنه عليها واجبات.

لقد رفضت الدكتورة نوال رفضاً قاطعاً مسألة الحجاب واعتبرته تقييداً للفكر والحرية والعقل، قبل أن يكون تقييداً لجمال المرأة. وهي تتهمهم بأنهم، بعد أن خصوا المرأة جنسياً (حالات ختان البنات الشائعة في مصر والسودان خاصة) يحاولون خصيهاً فكرياً، لأنها إذا فكرت تكلمت وإذا تكلمت تحررت بالأفعال، فتعمل كل شيء وقد تذهب إلى رجل آخر فتنهّد المؤسسة الأبوية الذكورية⁷².

كما أنها لا تقبل فكرة عقدة مركب النقص التي طرحها التحليل النفسي، فالمرأة تمتلك أشياء لا يمتلكها الرجل فلماذا لا يكون له هو أيضاً عقدة كالتالي للمرأة؟ هل نسي الرجل أن المرأة تصبح أماً تسعة أشهر قبله؟ وأنها ترضع طفلها من دمها؟ ألا يشكل كل هذا مركب نقص عند الرجل، في حين قيل أن المرأة بسبب العضو المركب جردت من وخز الضمير ومن السلوك الإنسان الطبيعي.

فاليوم هذه الأصوات تمثل دعوة للمرأة لتعيد النظر في نمط حياتها، وتجبر المجتمع أيضاً بدوره أن يراجع حساباته في نظريته للمرأة. فالدكتورة نوال أعطتنا مثلاً سويماً للتحرر من الظلم الاجتماعي، لا تريد من المرأة أن تتحول إلى رجل بل أن تصير المرأة أنثى بكل ما

⁷² نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت، ط2 1990، ص254-255..

تحمله هذه الكلمة من معاني. لتكن التربية أهم أعمالها ولكن ليس عمله الوحيد، لتلبي رغبات زوجها ولكن مع رغباتها هي أيضاً.

المرأة والكنيسة:-

لقد حاولت المسيحية في معظم فتراتها أن تمنح المرأة حقوقها، لتكون مكرّمة. وبعد منتصف القرن الماضي شهدت قضية كرامة المرأة تطوراً كبيراً، وخصوصاً كنسياً بتأثير من قبل بعض الباباوات (بيوس الثاني عشر، يوحنا الثالث والعشرون، بولس السادس، يوحنا بولس الثاني)، ونتيجة لقرارات المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)، ويقول البابا الطيب يوحنا الثالث والعشرون: "إن تطور وضع المرأة هو إحدى علامات الأزمنة الأساسية"⁷³.

1- المرأة والمجمع الفاتيكاني الثاني:

أعلن المجمع يوم 25 كانون الثاني 1959 من قبل رجل الله الملهم يوحنا 23. ومن أهم ما يخصنا:

① تكريم المرأة-مريم:

يمكن اعتبار الفصل الثامن من هذه الوثيقة "الكنيسة نور الأمم" أكبر إنجاز حققه المجمع للمرأة. ففي هذا الفصل دُرّجت مريم-المرأة في التدبير الخلاصي. هذه المرأة هي التي يذكرها بولس في رسالته إلى كنيسة غلاطية (4:4) "ولما تم الزمان أرسل ابنه مولوداً من امرأة". فبولس لم يذكر المرأة هنا ليغض النظر عن مريم بقدر ما أراد التركيز

⁷³ جان ماري أوبريت، المرأة في الفكر المسيحي.. واقع وطموح، مجلة الفكر المسيحي، السنة 12،

ت1-ت1976/2، ص411.

على موضوع المرأة التي ربطت أول سفر وآخر سفر من الكتاب المقدس. بولس أراد الانتقال من حواء الأولى إلى مريم ومن ثم إلى المرأة في سفر الرؤيا. والمجمع من هذا المنطلق أراد أن يكرم المرأة بشخص العذراء مريم أم المسيح.

إن ديانتنا معروفة بأنها ديانة التجسد أي أن الله الكلمة يتجسد ليصبح إنساناً. في قلب هذه الحدث المهم هناك امرأة، فإذن الله احتاج إلى امرأة ليمكث بين الناس. فمريم اتصلت بالله من خلال يسوع المسيح. وكل هذا لم يجعلها في يوم من الأيام أن تُشعر الآخرين أنها أم لله، بل أمضت عمرها كله وهي تطيع الله، لقد حولت حياتها إلى خدمة مجانية لله متعلمة من ابنها أن السيادة ليس سلطة بل خدمة.

② المرأة والخطيئة الأولى

في وثيقة "الكنيسة في عالم اليوم" العدد (13) يقول المجمع: "أقام الله الإنسان في حالة البرارة، لكن الشرير أغواه منذ بدء التاريخ.... وأثروا في الخدمة المخلوق على الخالق".

لقد ألغى المجمع فكرة كون المرأة هي المسؤولة وحدها عن الخطيئة الأولى، وكأن آدم لم يكن سوى من وثق ثقة عمياء بالرفيق الذي اختاره الله له. فالمجمع يقول أن الله أقام الإنسان -رجل وامرأة- فالمجمع نجح في العودة إلى روحانية الكتاب المقدس، وخص المرأة من ذنب تحملته لوحدها عدة قرون ناسين أو متناسين أن الله قاصص آدم أيضاً.

فإذن آدم شريك حواء في السقوط، لأن بينهما علاقة لا تنفصم أبداً بالرغم من اختلال التوازن، فالله يقول: "سيسود عليك" (تك3:16)، والرجل منذ قرون يستغل هذه الكلمة "السيادة" معتقداً أنها التسلط، تبعية المرأة للرجل. لقد ذكرنا أعلاه كيف أن مريم لم تستغل موقعها بل استثمرته في الخدمة، وهذا ما يطلبه الله من الرجل أن يكتمل مع المرأة من خلال الخدمة، "أن يصيرا كلاهما جسداً واحداً" (تك2:24).

المجمع ومن بعده البابا يوحنا بولس الثاني يؤكدان على ضرورة تجاوز هذه المرحلة التي شوهدت العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة، فأى إساءة لكرامة المرأة هي إساءة لكرامة الرجل في نفس الوقت لأنه رغم كل شيء عليهما أن لا ينسيا أنه "ذكراً وأنثى خلقهما". (تك1:27).

① الاتحاد الإنساني واتحاد الأقانيم الإلهية

وفي العدد (24) من وثيقة "الكنيسة في عالم اليوم" جاء: "... وإلى ذلك فإن السيد يسوع عندما طلب في صلواته إلى الأب قال: ليكونوا بأجمعهم واحداً ... كما نحن واحد" (يو17:21-22)، فتح آفاقاً تسمو على العقل البشري، وأشار إلى نوع من الشبه يقوم بين اتحاد الأقانيم الإلهية واتحاد أبناء الله في الحق وفي المحبة. وهذا الشبه يُظهر أن الإنسان هو الخليفة الوحيدة التي أرادها الله لذاتها على الأرض، لا يستطيع أن يجد ذاته تماماً إلا بتقديم نفسه تقدمة صادقة خالصة".

نستنتج من هذا أن الله يريد الإنسان دوماً، ولأن إرادته (الله) محفورة دوماً في تكوين الإنسان دون استثناء، فهو يريد أن تكون غاية الإنسان هي الإنسان نفسه.

ولكي لا تؤخذ على المجمع هذه المسألة، أي وكأن الإنسان فقط هو المهم دون الله. فقد أكد على تشابه ليس على صورة الله ومثاله فقط بل على صعيد اتحاد الأقانيم الثلاثة "الأب والابن والروح القدس". ولقد شرح البابا يوحنا بولس الثاني هذه النقطة في رسالته "إلى الأسر" العدد (8) قائلاً: "هذه الصيغة الفريدة في غنى معناها تثبتت قبل كل شيء ما يحدد الهوية العميقة لكل رجل وامرأة. وهذه الهوية تقوم بالقدرة على الحياة في الحقيقة وفي المحبة. وهي تقدم أكثر من ذلك بالحاجة إلى الحقيقة والمحبة، البعد الذي تقوم به حياة الشخص".

فإذاً لا شيء يحمل الإنسان على تقديم ذاته مثل المحبة. فالمحبة تعني منح وتقبل ما لا يمكن كسبه ولا بيعه ولكن ما يمكن فقط منحه بطريقة حرة ومتبادلة⁷⁴. ومن هنا يمكننا ربط لزواج بسر الافخارستيا الذي هو عطاء بلا حدود.

2- المرأة في فكر البابا يوحنا بولس الثاني:-

لقد تجلت نظرة البابا يوحنا بولس الثاني على المرأة في رسالته "كرامة المرأة"، ولقد أثرت هذه الرسالة على كامل الإشكالية الحالية للمرأة، وذلك من خلال الإكرام الكاثوليكي للمرأة. ولقد جاء البابا بهذه

⁷⁴ يوحنا بولس الثاني، رسالة إلى الأسر، العدد (11)، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب

النظرة الإيجابية عن المرأة منذ طفولته حيث انعكست له من المناخ السائد في فترة تنشئته بقوله: "كان احترام المرأة آنذاك في ذروته وبخاصة كونها أمًا"⁷⁵.

① المرأة في قلب البابا: -

أول ما نستنتج من التحية التي يوجهها البابا في رسالته "إلى النساء"، بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الرابع حول المرأة في بكين (أيلول 1995). حيث لم يبدأها بمعالجة قضية ما، بل بدأها بشكر للرب لأنه وهبنا المرأة، ومنه شكر المرأة لأنها تغني فهم العالم بشعورها بأنوثتها وتساهم في إقامة علاقات بشرية على الحق كله. لقد شكر المرأة-الأم لأنها تتقبل الكائن الجديد بفرح وألم نابع من خبر فريدة. شكر المرأة-الزوجة لأنها تربط مصيرها بمصير رجل بعهد أبدي في علاقة عطاء متبادل لخير الوحدة والحياة. شكر المرأة الفتاة والأخت لأنها تغني البيت والمجتمع من ثروات إحساسها وحدها وسخائها. شكر المرأة العاملة لأنها تقرن العقل بالعاطفة من خلال مساهماتها في قطاعات الحياة كلها. شكر المرأة المكرسة لتشبيها بالعدراء مريم وانفتاحها على حب الله. فأصبحت مساعدة للكنيسة والبشرية في

⁷⁵ يوحنا بولس الثاني، العبور إلى الرجاء، ترجمة: ناصيف يمّين، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل

الاتحاد الرائع الذي يرغب الله في إقامته. وأخيراً شكر المرأة لا شيء سوى أنها امرأة⁷⁶.

لقد أحب البابا يوحنا بولس الثاني المرأة كثيراً، وساندها في ثورتها للحصول على حريتها المسلوقة منذ أجيال وأجيال. لقد ترك لنا البابا رسائل عديدة فاق بها جميع من سبقه من الباباوات. منها رسائل خاصة بالمرأة (كرامة المرأة، إلى النساء)، ومنها تكلم عن أم المسيح واضعاً نصب أعينه أمومتها وبنوليتها وأنوثتها (أم الفادي)، ومنها ما تتكلم عن الأسرة والزواج ومنها يوضح حقوق المرأة وواجباتها ضمن العائلة أولاً ومن ثم ضمن المجتمع ككل (رسالة إلى الأسر، سر الزواج، وظائف العائلة المسيحية في عالم اليوم... الخ).

لقد أحس البابا بكل اعترض المرأة من صعوبات وإهانات واغتصاب وهضم لحقوقها. فاعتذر وتأسف بشدة معترفاً بأن الشكر لا يكفي بسبب ما شوّهه التاريخ الذي حاول الانتقاص من كرامتها، تهميشها، استعبادها وخصوصاً ما جاء على يد أبناء الكنيسة نفسها. فالتاريخ حرماناً من أسماء نسوة عديدات كرسن نفوسهن للثقافة والفن، لسبب بسيط أنه احتكم على مظهرهن الجسدي أكثر من كفاءتهن وفكرهن وكرامتهن الشخصية⁷⁷.

⁷⁶ يوحنا بولس الثاني، رسالة إلى النساء، العدد (2)، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب-

لبنان، 1995.

⁷⁷ المصدر السابق، العدد (3).

وبسبب هذه النظرة تجاه المرأة (كون المرأة جسداً أكثر من أي شيء آخر) دافع البابا عن المرأة بشدة من ناحية العنف الجنسي، وخصوصاً ما يسمى بثقافة اللذة والمتاجرة أو الاستغلال المنظم للجنس. لأن هذا يؤدي إلى الإيقاع بفتيات قاصرات في معائر الفساد محولاً أجسادهن إلى مجرد سلعة. لذلك البابا حامى النسوة اللواتي يقعن فريسة لعلاقات جنسية أُجبروا عليها (الاغتصاب). داعياً إلى استقبالهن بمودة دون أن نضع لهم حلاً متمثلاً في جريمة أخرى أبشع يحملها الرجل للمرأة ألا وهي الإجهاض⁷⁸.

أما ما يخص العمل، فالبابا يرى أنه للمرأة حقاً مساوياً لحق الرجل بفعل الكرامة المتساوية للاضطلاع بالمهام العامة. لكن البابا يؤكد على أنه مهما اجتهدت المرأة وأبدعت في مجال ما، تبقى أروع حين تنتهي أولاً وقبل كل شيء التزامها ودورها الوالدي، فهي أم في العائلة قبل كل شيء⁷⁹. فالمرأة حين تريد المساواة لا يعني أن تنكر أنوثتها أو التمثل بطباع الرجل، إنما العكس، إبراز الأنوثة الحقيقية الأصلية

التي وهبها الله لآدم الأول فهتف مهلاً: "هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. فهي تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت" (تك2:23).

• دعوة المرأة

⁷⁸ المصدر السابق، العدد (5).

⁷⁹ المصدر السابق، العدد (23).

لقد اعتبر البابا الأمومة والبتولية، البعدان اللذان يحققان شخصية المرأة⁸⁰. وهو يكرس في رسالته "كرامة المرأة" فصلاً خاصاً لشرح هذين البعدين، مستعيناً بالمثل الحي لكليهما "البتول مريم أم المسيح". فمريم هي الوحيدة التي عاشت بتوليتها بالرغم من أمومتها لابن الله.

الأمومة: - من خلال الزواج يصبح الاثنان جسداً واحداً عن طريق هبة الذات، وثمره هذه الهبة هي الأمومة والأبوة. إن الأمومة تكلف المرأة انفتاحاً وقبولاً مجانياً لتقبل عطية الله، فهي مشاركة له في الخلق. إن طبيعة المرأة ملائمة نفسياً وفلسجياً أكثر لأن تحمل وتلد، فللأمومة دور كبير وخاصة قبل الولادة. فلمدة تسعة أشهر يكون الجنين جزءاً مهماً لا يتجزأ عن الأم. ونحن نعرف مدى تأثير الأم على الجنين لكن يجب أن لا ننسى أن الجنين يؤثر أيضاً عليها كثيراً. فمن واجب الرجل أن يشكر الله من أجل أمومة المرأة التي أعطاها له، والتي تساعد كثيراً على تطور التربية. فالبابا يوصي الرجل بأن يعي أنه مدين للمرأة في نطاق مهمتهما المشتركة كأبوين، ويطلب منه أن يتعلم من المرأة كيف يكون أباً⁸¹.

⁸⁰ يوحنا بولس الثاني، كرامة المرأة، العدد (17)، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب -

لبنان، 1988.

⁸¹ المصدر السابق، العدد (18).

البتولية: - يقول البابا: "ليست البتولية ثمرة اختيار حر من قبل الإنسان فقط بل هو أيضاً ثمرة نعمة خاصة يهبها الله لشخص معين، يدعوه لأن يعيش في البتولية"⁸².

لم يَخْص يسوع مسألة من لا يتزوجون من أجل ملكوت السماء (مت 12:19)، بالرجال فقط، بل هي تخص النساء أيضاً. فكل كلمة قالها يسوع هي للإنسان (الذكر والأنثى). فالمرأة من خلال البتولية تؤكد ذاتها كشخص بشري يهب ذاته لله، كعروس للمسيح. فإذا ضمن مفهوم الزواج حيث هبة الذات للآخر دون مقابل. فالمرأة المدعوة للحب تلتقي المسيح لتبادله البذل عن طريق هبة شخصها، فتصبح روحاً واحدة مع المسيح بنعمة الروح القدس (1 كور 17:6)⁸³.

وأخيراً يؤكد البابا أن البتولية لا تعني مطلقاً رفض الزواج، بقدر ما تعني نعم عميقة على الصعيد الزوجي، أي نعم لهبة الذات من أجل أن نحب حباً كلياً، لا شريك فيه غير من نحب. فللبعدين هدف مشترك من خلال التشابه النوعي الموجود بينهما. لأن الاقتران ينطوي على هبة العروس ذاتها للعريس، بلا مقابل.

• علاقة الرجل والمرأة

لقد أكد البابا على أحقية كل شخص مهما كان جنسه (رجلاً أم امرأة) لأن يكون شبيهاً بالله، لأن الله خلق الإنسان "منذ البدء ذكراً وأنثى" (تك 1:26). وهذا الشخص الشبيه بالله لا يمكنه أن يكون على

⁸² المصدر السابق، العدد (20).

⁸³ المصدر السابق، العدد (20).

مثال الله ما لم تكن علاقة صحيحة مع الآخر (بين رجل وامرأة) ويطلق البابا على هذه العلاقة "وحدة الاثنين"⁸⁴. وهذه العلاقة لا تدعو الرجل والمرأة إلى أن يعيش الواحد بجانب الآخر أو معاً، بل أن يعيش كل منهما للآخر⁸⁵.

إن هذا العيش يتطلب الحب، والمرأة بحسب (أفسس 21:5-33) "النساء وأزواجهن" هي الكنيسة المحبوبة، أي تستلم الحب لتبثه للآخرين عبر قلبها. إن هذا المنطق "الحب" هو وحد الكفيل بأن يعطي المرأة كرامتها وحقوقها لتكون الخليقة التي أرادها الله لذاتها⁸⁶.

من هذا الحب تنشأ الشركة، وهذه الشركة هي مؤسسة على الاختيار الحر الواعي المتبادل، ليلتزموا بالعهد الذي من خلاله هما مدعوان ليصيروا أبوين، أي مشاركين لله في عملية الخلق. وترجع الكرامة الأصلية لكليهما كأشخاص بعد أن تشوهت بالخطيئة الأولى.

⁸⁴ يوحنا بولس الثاني، رسالة إلى الأسر، العدد (7)، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب

– لبنان، 1994.

⁸⁵ المصدر السابق، العدد (8).

⁸⁶ يوحنا بولس الثاني، كرامة المرأة، العدد (29)، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب –

لبنان، 1988.

الخاتمة

ختاماً يلزم التساؤل: هل تُختم قضية المرأة؟ هل سنبحث يوماً عن حقوق الرجل؟ هل سيطلق الرجال فكرة زواج الشر من المرأة منذ البدء؟ هل سننسى ونبحث عن المرأة والشر منفصلين؟ أسئلة مهمة وضرورية لكي نتوصل إلى وقفة وليس خاتمة. لأن الختم يتطلب حلولاً أما الوقفة فهي طرح أزمات ومحاولتنا إيجاد حلول لها من خلال حكم يتطلب كشف الأوجه جميعها.

هذه الأوجه طرحتها بأمانة دون أن أتحيّز للرجل أو للمرأة أو حتى بالنسبة إلى وضعها الاجتماعي والاقتصادي والديني في دين على حساب دين آخر أو حضارة على حساب أخرى.

هذه الأوجه تتمثل أولاً في تاريخ المرأة عبر آلاف السنين، وكيف تطور تطوراً متموجاً، تارة لها وأخرى عليها، وثانياً في فلسفة

المرأة وما مقدار الضعف والقوة التي أحلها الخالق عليها، وكيف تصرف الرجل مع فسلجة المرأة، وكيف قاد هذا المرأة إلى الرضى والافتتاح بضعفها ومحدوديتها، وهذا كله جعل بعض الرجال في القرن الأخير، يحثون النساء على التظاهر والاحتجاج، ضد الواقع المفروض، وإشعارهن أن الواقع الصحيح هو مساواتها للرجل في الحقوق والواجبات. فاشتعلت الساحة العالمية، وقادت المرأة حملتها بنفسها لتصل إلى بعض حقوقها وفي بعض الأجزاء من هذا العالم الرحب. أما ثالثاً وعلينا أن نؤكد عليها أكثر فهي، ما مدى تأثير الدين على علاقة المرأة بالمجتمع عموماً وبالرجل خاصةً.

فلا بد من التساؤل هل وجد قبل المسيح وفي أيامه وبعده بقرون من عامل النساء بلطف وتقدير واحترام كما صنع هو بعيداً عن الشر؟ وهل وجد من فتح أمامهن إمكانيّة المساهمة بعمل اجتماعي ديني شريف يرفع من قدرهنّ واحترامهنّ في المجتمع الذي يتهمها دوماً بالشر؟ بكل تأكيد كان المسيح في ذلك الزمان وذلك المكان وحده القادر على تحرير المرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل. إن فكر ورؤية يسوع للمرأة غير الكثير من فكر معاصريه ونظرتهم إلى المرأة، فركزوا مثله على إنسانيتها وفكرها وليس على جسدها دون احتقار هذا الأخير.

لقد أصبحنا نفهم بحسب بشارة الإنجيل أن يسوع ألغى الشريعة القديمة التي كانت تعتبر المرأة مخلوقاً قاصراً فأراد لها الحرية الحقيقية والمساواة مع الرجل. فهو الذي سعى قبل الجميع إلى تحرير الرجال

والنساء من الخرافات والتقاليد التي تستعبدنهم. والمرأة الجديدة المتأثرة ببشارة يسوع التي استطاعت أن تقدم شيئاً إيجابياً للمجتمع، هي تلك التي تتسق بين الأمانة لجنسها والجرأة الضرورية للحياة، وهي التي تجمع بين خضوع القلب ونشاط الارتباطات والمبادرات السياسية والاجتماعية والدينية.

أما عن السبب وراء تغير الفكر تجاه المرأة بعد يسوع بقرون، فقد توقف على نظرة العصر إلى المرأة. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في القرون الوسطى حول قضية الساحرات وما جرّت ورائها من أهوال أحطت كثيراً من قيمة وكرامة المرأة وأصقتها بالشر. إلا أن اليوم اختلف الوضع كثيراً لسببين: الأول فرض الواقع المعاصر على المرأة أن تخرج إلى الساحة العالمية بكافة مجالاتها. والثاني تغير نظرة الرجل إلى المرأة من كونها شؤم وشر، إلى المرأة المعينة (العون) باعتبارها نصف المجتمع ومدرسة الأجيال، وتغير نظرة المرأة إلى نفسها من كونها عالية بحاجة للإعالة إلى شخص بشري له شخصيته واستقلالته وفرادته وقدرته على الإنتاج.

وسأختتم هذا البحث بقولين، الأول من المجمع الفاتيكاني الثاني والذي كان له الدور الكبير في استعادة النظرة المسيحية الصحيحة للمرأة، في الدستور الراعوي "الكنيسة في عالم اليوم" في العدد "29": ((إنه لمن المؤلم أن تُرى حقوق الشخص الأساسية إلى الآن غير محترمة في بعض الأمكنة. من ذلك أن تُحرم المرأة الحق في حرية اختيار زوجها، واختيار طريقة حياتها، أو تحصيل قسط من

التربية والثقافة يُضاهي ما يُعترف به للرجل. أضف إلى ذلك أنه، مع ما هناك من فروق مشروعة بين البشر، تقتضي مساواة الأشخاص في الكرامة أن يتوصل المجتمع إلى وضع حياتي عادل وأكثر إنسانية)).

والثاني هو بمثابة نصيحة للأنسة فريال أحسست بأن هذا القول قيل قبل 30 عاماً ولكن لازال على ما يبدو مطروحاً لمن سمعه ثقيل أو يُثقله، أوجهها نقلاً من مجلة الفكر المسيحي (حول قضية المرأة للأنسة فريال توزي، ص 87) العدد 11/شباط 1975 وهي السنة المخصصة عالمياً للمرأة، والتي كرّست فيها المجلة أكثر صفحاتها للبحث عن السبل الكفيلة لمعالجة وضع المرأة في بلدنا عامة وكنيستنا خاصة. "حقوق المرأة أتمناها لا على حساب الرجل، بل للتكامل والتكافؤ الإنساني. أدعو المرأة أن تتخلص من الخمول والالتكالية وتنتسح بالثقة بالنفس والشجاعة، وإلا لن تحقق شيئاً من حقوقها".

فإذاً مهما بلغ بالرجل أن يُدلل المرأة ستبقى معطاءة الحياة، تبقى أمّاً قبل أن يكون هو أباً، يبقى الوليد جزءاً منها و قطعة من فؤادها قبل أن يتمكن هو من لمسها، فالمرأة هي أم الرجل.

المصادر

1. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المكتبة البولسية، بيروت، 1999.
2. المجمع الفاتيكاني الثاني، المكتبة البولسية، بيروت، 1992.
3. يوحنا بولس الثاني، "رسالة إلى الأسر"، "كرامة المرأة"، "رسالة إلى النساء"، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جبل الديب - لبنان، 1994، 1988، 1995 على التوالي.
4. برنامج المرأة، المرأة في اللاهوت الكنسي، (منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط)، لبنان 1980.
5. كوستي بندلي، المرأة في موقعها ومرتهاها، منشورات النور، طرابلس - لبنان، 2000.
6. فكتور بول فرنش، تعاليم مار بولس الأخلاقية (قضايا مختارة)، ترجمة ريبوار عوديش باسة الراهب، منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي (26)، بغداد، 2005.
7. اليزابيث كلارك، الآباء والمرأة، ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة - القاهرة، 1998.
8. أنور زكي، المرأة في الكنيسة المصرية، دار الثقافة - القاهرة، 1995.

9. حسين السيد علي القبانجي النجفي، الجواهر الروحية، مطبعة النجف- النجف، 1955.
10. عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1966.
11. عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحرية، دار الهلال- مصر، 1952.
12. ابن الجوزية، فتاوي رسول الله، مكتبة النهضة-بغداد، 1988.
13. خير الله طلفاح، مختارات من الأحاديث النبوية، مطبعة الشرق الأوسط - بغداد، 1983.
14. أحمد الشلبي، اليهودية، مطبعة المعرفة -مصر، 1974.
15. تلماستيان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، وزارة الثقافة- العراق، 1978.
16. نوال السعداوي، دراسات عن الرجل والمرأة في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للنشر، 1990.
17. سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة العربية- القاهرة، 1956.
18. سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1982.
19. سيغموند فرويد، النظرية العامة للأمراض العصابية، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1980.
20. مجلة الفكر المسيحي، العدد 11، شباط 1975.
21. مجلة الفكر المسيحي، العدد 12، آذار 1975.
22. مجلة الفكر المسيحي، العدد، ت1-ت2، 1976.

23. جريدة بيبيليا، العدد 10 تموز-آب (1991)، جبيل-بييلوس-
لبنان.
24. جريدة بيبيليا، العدد 25، ك2، شباط (1994).
25. مجلة الوعي المعاصر، عدد 12 (2003).